

حكايات السندباد

تقديم:
خالد بلقاسم

كتاب الدوحة

حكايات السندباد



يُوَزَّع مجّاناً مع العدد (143) من مجلَّة «الدوحة» - سبتمبر - 2019

عنوان الكتاب: حكايات السندباد
تقديم: خالد بلقاسم

الناشر: وزارة الثّقافة والرياضة - دولة قطر
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية:
الترقيم الدولي (ردمك):

الإخراج والتصميم: القسم الفَنّي - مجلّة الدوحة
رسومات: Maria Kuza's (روسيا)

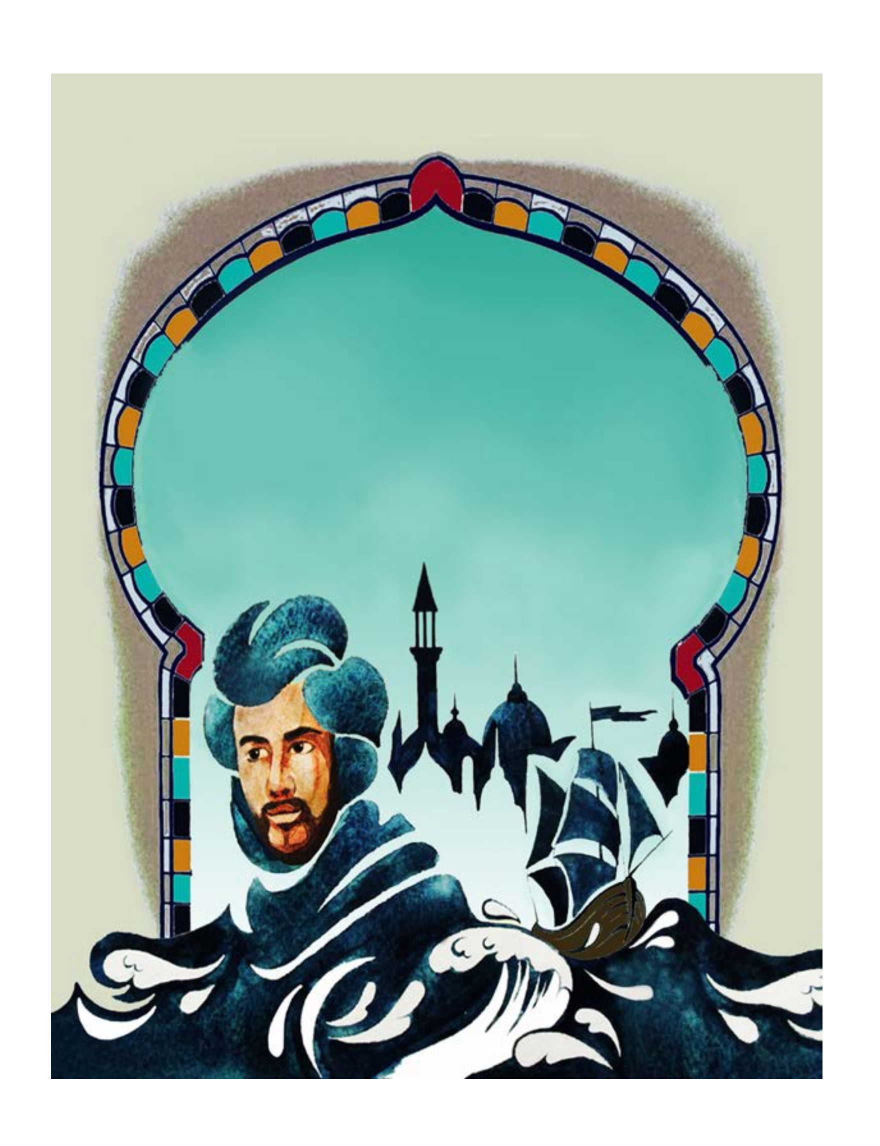
هذا الكتاب:
يُعبِّر عن آراء مؤلِّفه، ولا يُعبِّر -بالضرورة- عن رأي وزارة الثّقافة والرياضة أو مجلّة الدوحة

حكايات السندباد

تقديم:
خالد بلقاسم

من كتاب «ألف ليلة وليلة» المجلد الثالث
النص مطابق لطبعة 1935 عن المطبعة والمكتبة السعيدية
المطابقة لنسخة مطبعة بولاق الأميرية 1863





تقديم

«في المُخاطرة جُزءٌ من النّجاة»

«موقف البحر» للنفّري

1. إضاءة

لمُؤلَّف «ألف ليلة وليلة»، الذي إليه تَنْتسبُ حكايةُ سندباد البَحريّ، وَشائجُ قويّةٌ بالمَتاهة. فبنيةُ هذا المُؤلَّف قائمةٌ على تشَعُّب مَسالكِ الحَكي وتشابُكها. تتبدَّى هذه الوَشائجُ لا مِن تفرُّع الحكايات وانشطارِها وتوالُدِها وتعدُّدِ المَسارب التي تشقُّها وحسب، بل أيضاً مِن كوْن كتاب «ألف ليلة وليلة» غيرَ قابلٍ للاستنفادِ تأويلاً، كما لو أنّ مَصيرَ قراءته أنْ يَظلَّ كُلُّ سَعْي إلى تأوُّلِه شاهداً على المَتاهات التي لا تنفكُّ تتولَّدُ مِنْ حكاياته. تبدُو هذه الحَكاياتُ مُنتظمةً وَفقَ بنيةِ المتاهة. إنّها، أبْعَد مِن ذلك، تَبْدو كما لوْ أنّها صيغَتْ، أصْلاً، كي تُنتِجَ متاهات.

إذا كان كتابُ «ألف ليلة وليلة»، فَضلاً عن ذلك، مَجهولَ المُؤلِّف، فلربُّما لأنّهُ حصيلةُ ثقافاتٍ مُستمَدّةٍ مِنْ مُتخيَّلٍ ذي أصُولٍ سَحيقة. ثقافاتٌ مَصُوغةٌ في حكاياتٍ ضمَّها كِتابٌ واحدٌ، وإنْ احتفَظَتْ هذه الحكاياتُ، مِنْ حيث بناؤُها وانشطارُها وتشابُكُها وتوالُدُها، باحتمالِ عَدِّ مُؤلَّفِ «ألف ليلة وليلة» كُتُباً في كتاب، على نَحو ما شدّدَت عليه الدراساتُ التي انشغَلَت بمَسار تشكُّل هذا الكتاب وبسَيرُورَة تَكوينه. إنّ تأويلَه، بوَصفه سَيرورةَ حكاياتٍ تكوَّنت عبْر تاريخٍ ثقافيٍّ سَحيق ومُتشعِّب، يَسمحُ بعَدِّه، حتى وإنِ انتسَبَ إلى العَرب، نِتاجَ ثقافاتٍ أسْهَمَتْ في تَشَكُّله، وبعَدِّه تأليفاً بأيادٍ عَديدةٍ أكثر مِن اعتباره حَصيلةَ تأليفٍ شَخْصيّ. ذلك أنّ أصْلَ هذا الكتاب غامضٌ بوَجْهٍ عامّ، إذ نشَأَتْ حكاياتُهُ، كما يَرى بورخيس، بطريقة غامضة؛ فقد شارَكَ في صَوغ هذه الحكايات آلافُ المُؤلِّفين، دُون أنْ يَعلمَ أيٌّ منهُم أنّهُ كان يُساهِمُ في إبداعِ واحدٍ مِنْ أعْظَم الكُتُب[1].

كونُ كتاب «ألف ليلة وليلة» مَجهولَ المُؤلِّف يَجعلُ مَعناه يتلوَّنُ كُلَّ مَرّةٍ بالاحتمالات الدلاليّة التي تمْنَحُها لهُ القراءةُ، ويَجعلُهُ مُتحرِّراً مِن نِسبةِ الكتاب إلى شَخصٍ بعَيْنه، ومُتحرِّراً مِن أثَر هذه النِّسبة ومِنْ ضَغْطِها في تَوْجيهِ التأويل. تحرُّرٌ يَفتحُ الكتابَ على مَتاهات التأويل المُتخلِّقة مِنْ بنيَتِه. كأنّ القراءةَ قدَرُ هذا الكتاب. إنّها مُؤلِّفُهُ المُتجَدِّدُ دَوماً. القراءةُ، وَفق هذا التصوُّر، مُؤلِّفٌ مُتجدِّدٌ في ذاته، ومُجدِّدٌ لمَقرُوئِهِ في الآن نفسِه؛ مُؤلِّفٌ قادمٌ باستمرار مِنْ مُستقبَلِ التأويل ومَجْهولِه.

لهذا كُلّه، غالباً ما اجتَذبَ كتابُ «ألف ليلة وليلة»، مُنذ تنبّهَ الأوروبيّون إلى قيمَتِه، قُرّاءَ كباراً، لأنّهُم عَثرُوا فيه على ما يُمكِّنُ القراءةَ مِن مُلامَسةِ اللانهائيِّ فيها. ذلك أنّ قراءةَ هذا الكتاب مَنذورةٌ

---

(1) Jorge Luis Borges, Œuvres completes, II, Traduit par Jean Pierre Bernès, Roger Callois, Claude Esteban, Nestor Ibarra et Françoise Rosset, Bibliothèque de la Pléiade, Ed. Gallimard, 2010, p. 673.

لأَنْ تُوَلِّدَ لدى مُنجزها أسئلةً تمَسُّ، أساساً، صَميمَ الفعل القرائيّ، وتمَسُّ غُموضَ هذا الفعل، وتَعقُّدَ آليّاته، وشُسُوعَ مَجْهُوله. أبْعَد من ذلك، إنّ مَنْ حَوَّلوا هذا الكتابَ إلى مَدارِ اهتمامهم وجَعَلُوهُ أسَّ انشغالهم، قادَهُم هذا الانشغالُ إلى الإقرار بأنّ مَدارَ الكتاب ليس مُنفصلاً، هو ذاتهُ، عن أسئلةِ القراءةِ وقضاياها. اللافتُ، إذاً، أنّ تحويلَ كتاب «ألف ليلة وليلة» إلى مَدارِ اهتمام، على مُستوى الانشغال بالحَكي وبالمَعنى، يُفْضي إلى العُثور علَى وَشيجَةٍ بين مَدار هذا الكتاب وبين القراءة. لابدَّ لكُلِّ مَنْ نذرَ اهتمامَهُ القَرائيَّ لهذا الكتاب أنْ يَعثرَ على ما يَصِلُ مدارَ هذا المُؤلَّف بالقراءة. إنّهُ مُؤلَّفٌ يُجسِّدُ، ببنْيَتِهِ وبتشَعُّب الحَكيْ والمَعْنى فيه، لانهائيّةَ الفعل القرائيّ. لا يُجسِّدُ الكتابُ هذه اللانهائيّةَ وحسب، بل يَصونُها أيضاً، ويَحْمي دَوامَها بما تنطوي عليه بنيتُهُ مِنْ خُيُوطٍ تُؤكِّدُ انتسابَهُ إلى مَسارب المَتاهات، إذ لا أحدَ بمَقدوره قراءة هذا الكتاب إلى النّهاية، لا لأنّه كتابٌ مُمِلّ، بل لأنّهُ لا نهائيّ[1].

ليس تفرُّعُ الحكايةِ الواحدة، الذي به تَكُفُّ عن أنْ تكونَ واحدةً، وانشطارُها واتّخاذُها صِفَةَ المتاهة هُو فقط ما يَشُقُّ للحكايةِ دُرُوباً تأويليّةً بعَدَدِ الشِّعاب التي تَنفتِحُ فيها. ثمّة، إلى جانب ذلك، تجاوُرُ الحكايات العامّ، مِنْ جهة، أي اجتماعُها في كتاب واحد، بما يترتّبُ على هذا الأمْر مِنْ احتمالٍ دلاليٍّ مُستمَدٍّ مِنْ مُسَوِّغاتِ اجتماعِ هذه الحكايات، بعَدَدِها المُنتسِب إلى اللانهائيِّ كما يَرَى بورخيس[2]، في إضمامةٍ واحدة، على نَحْوٍ يَقتضي، في كُلِّ قراءةٍ مُنشغلةٍ بالكتاب، استحضارَ تجاوُرِ اللانهائيِّ الصامتِ في عَددِ الليالي. وثَمّة، مِنْ جهةٍ أخرى، التجاوُرُ الخاصّ، القائم على الوُرودِ المباشر لحكايةٍ

(1) المرجع السابق، ص. 675.

(2) عدَّ بورخيس عُنوان «ألف ليلة وليلة» مِنْ أجْمل العناوين في عالَم الكُتُب. ورأى في كلمة «ألْف» مُرادفاً لكلمة «اللانهائيّ»، وأنّ صيغة «ألف ليلة» تَعْني لياليَ لانهائيّة، لياليَ غيرَ قابلة للعدّ والحَصْر. ورأى، تبعاً لذلك، أنّ صيغة «ألف ليلة وليلة» تَعْني إضافةَ ليلةٍ إلى ليالٍ لانهائيّة. المرجع السابق، ص.671.

بَعْدَ أخرى[1]، على نَحوٍ يَفرضُ التساؤلَ عن القُرب المُتحقِّق بين الحكاياتِ في كتابٍ يَجعلُ الحكايةَ الواحدةَ تَنْشَطِرُ وتتوالدُ، بما يُتيحُ، علَى مُستوىً التأويل، رَصْدَ امتدادِ هذا التّوالُدِ وتعدُّدِ صِيَغِه في التجاوُر القريب بين الحكايات، أي في الوُرود المُباشر لحكايةٍ بَعْد أخرى. لَعَلّ هذا الأمْر هو ما يَسمحُ بالحديث، في كتاب «ألفَ ليلة وليلة»، عن التجاوُر البَعيد والتّجاوُر القريب بَيْن الحكايات. كِلا التّجاوُرَيْن يَفْتَحُ القراءةَ على دُرُوبها الشبيهَةِ بالمتاهات، وعلى أسئلتِها الخَصيبة، أي أسئلةِ الوَشائج، والتماثلات، والخُيوط الناظمة لنَسيجٍ قائمٍ على علاقاتٍ سَحيقةِ الأصداء. تتقوّى هذه الوَشائجُ والتماثُلاتُ وتتشعَّبُ كُلّما راهَنَت القراءةُ على الحَفْر في أصْداءِ الحكايات، وفي أصُولها البَعيدة، وفي جُذورها الغامضَةِ والمُوغِلةِ في القِدَم.

كُلّما تحكّمَتْ هذه الوَشائجُ والتماثلاتُ في بناءِ التأويل وتحَوّلَتْ إلى انشغالٍ قرائيّ، اتّخذَت القراءَةُ ذاتُها صُورَةَ متاهة. تَغدُو القراءةُ، في هذه الحال، دَرْباً لا نهايةَ لهُ، وداخلاً بلا خارج. هكذا يَغدو كُلُّ عُثور على وَشيجةٍ مِنَ الوَشائج وكلُّ بناءٍ لها -لأنّ العثورَ على الوَشيجَة، في هذا السياق، غيرُ مُنفَصلٍ عن بنائها- إيذاناً بتوالُدِ الوَشائج، أي أنّ عَدْوَى بنيَةِ الحكايات، في «ألف ليلة وليلة»، يُصيبُ القراءةَ ذاتَها، ويمَتدُّ إلى الوجْهة التي تأخُذها، ويَتحكَّمُ في بنيَتِها. لا يَبقى إنتاجُ المَتاهات، في هذه الحال، شأناً مُقتصِراً على كتاب «ألف ليلة وليلة»، بل يَسْري في صِيَغ قراءَتِه. لرُبّما جانبٌ مِنْ هذا الأمْر هو ما جَعلَ بَعضَ المُنشغلين بالكِتاب يَتحدَّثون عن عَدواه، وعن

(1) للتمثيل لمَلمَحٍ مِنْ مَلامحِ اللانهائيّ الذي يَنفتحُ مِنَ التجاوُر القريب بين حكاية وأخرى، يُمْكنُ الإشارة إلى مُقارَبةِ عبد الفتاحٍ كيليطو لتَجاوُر حكاية حاسب كريم، في العديد من الطبعات العربيّة لكتاب «ألف ليلة وليلة»، مع حكاية السندباد، التي تَرِدُ في هذه الطبعات مُباشَرةً بَعْد حكاية حاسب كريم. تجاوُرٌ نَفَى كيليطو، بناءً على شريعةِ القراءة، أنْ يكون وليدَ الصُّدْفة، إذ عزاهُ إلى قرابةٍ عميقة بين الحكايتيْن. ومن ثمّ، إنّ الانشغالَ بالقُرب بين الحكايات وما يترتّبُ عليه منْ قرابات لن يَختلِفَ عن وُلوج المتاهات. أُنظر: عبد الفتاح كيليطو، الأعمال، الجزء الرابع، حمّالو الحكاية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2015، ص. 56 وما بَعْدها.

خُطـورَةِ قراءَتِـه، وعـن صِلَتِـهِ بالمَوت.

إلى جانـب مـا تقـدَّم، ثمّـة مَوقـعٌ قـرائيٌّ آخَـرُ لا يَكُـفُّ عـن تَخْصيـب التأويـل وإغنائـه. يتعلّـقُ الأمْـرُ بالوَشـائج التـي تَحْكُـمُ كُلَّ حكايـةٍ مِـنْ حكايـاتِ «ألـف ليلـة وليلـة» بالحكايـةِ الإطـار في هـذا الكتـاب، مِـنْ جهـة، وبمَسـار العلاقـةِ بـين شـهرزاد وشـهريار، مِـنْ جهـة أخـرى. ذلـك أنّ كلّ حكايـةٍ، في «ألـف ليلـة وليلـة»، تفتـحُ كـوى عديـدةً لتتبُّـع ظِـلالِ هـذهِ العلاقـةِ في تفاصيـلِ الحَـكي وعلاماتِـه.

حكايـةُ سـندباد البَحـريّ مُشرعـةٌ هـي كذلـك، شـأنُها شـأنُ باقـي حكايـات «ألـف ليلـة وليلة»، عـلى التآويـل المُنشَـغلة بنَسْـج التماثلات، إذ تُسـمَعُ في هـذه الحكايـة أصـداءُ قديمـةٌ، وتُـرَى بـين طيّاتِهـا ظِـلالٌ سَـحيقةٌ. مـا يُسـمَعُ فيهـا مِـنْ أصـداءَ بَعيـدةٍ، ومـا يُـرَى في تراكيبهـا مِـنْ أطيـاف مُتشـابكة، يُغْـري القـراءةَ باسـتجلاءِ المَطـويِّ في الحكايـة، وإنْ كان كُلُّ سَـعْي لهـذا الاسـتجلاءِ يَعـي حُـدودَهُ في العُثـور عـلى الطّيّـات وفي تمَديدهـا.

إنّ المَطـويَّ في حكايـةِ سـندباد البَحـريّ، وفي حكايـات «ألـف ليلـة وليلـة» بوَجْـهٍ عـامّ، مُمتـدٌّ في أزْمِنـةٍ مُوغِلـةٍ في القِـدم، ومُضْمِـرٌ لتمثُّلاتٍ قادمـةٍ مِـنْ أسـاطيرَ سـحيقة. الامتدادُ والإضـمارُ مِنَ السِّـماتِ الدّالّةِ على لا نهائيّـةِ الكتـاب ذاتِ الوُجُـوه العديـدة، وهُـما معـاً؛ الامتـدادُ والإضمار، يَنضافـان إلى تَشـابُكِ حكايـاتِ الليـالي وتوالُدِهـا. إذا كان تشـابُكُ الحكايـات وتوالُدُهـا يَرْسُـمان مَنْحـى أفقيّـاً للمَلمَـح اللانهـائيِّ، الـذي بـه يَتَّصِـفُ الكتـابُ، وبـه تَتَّصِـفُ قراءَتُـهُ في الآن ذاتـه، فـإنّ المَطـويَّ في هذه الحكايـات يَرْسُـمُ مَنْحـى عَموديّـاً لهـذا المَلمَـح بوَجْهَيْـه؛ الوَجْـه المُرتبـط ببنْيَـةِ الحَـكي في الكِتـاب، والوَجْـه المُقـترن بمَسْـلك قراءَتِـه. إنّ تضافُـرَ المَنْحَيَـيْن يُضاعِـفُ اللانهـائيَّ القـرائيَّ، ويُضاعِـفُ صُـورَةَ المَتاهـة، مَازجـاً فيهـا الامتـدادَ الأُفقـيَّ بالغَـوْر العَمـوديِّ.

2. التسمية بما هي تحديد للهُويّة

يمْكنُ التمثيلُ للأصداء المُضمَرَة في حكايةِ سندباد البَحريّ بالحمولة الدلاليّة لعَدَد السّفرات التي قامت عليها هذه الحكاية. وهو أمْرٌ سبقَ أنْ تنبَّهَ إليه بَعضُ دارسيها. ليس عبثاً أنْ يكونَ عددُ سفرات السندباد البَحريّ سبْعاً، بل إنّ للعدد مُوَجِّهات مفتوحةً على التآويل. فشريعةُ القراءة لا تُقرُّ بالصُّدفة حتى في أدقِّ التفاصيل، بل تنطلِقُ مِنْ أنّ كلَّ تفصيل في الكتاب، مَهْما ضَؤُلَ، يَضطلعُ بوَظائفَ ويَنطوي على أبعاد. إنّ افتراضَ مقصديّة مُوَجِّهَة لاختيار العدد «سبعة»[1]، أو افتراضَ لاوَعْيٍ جَمعيٍّ سَحيق مُتحكّم في هذا الاختيار، يَجعلُ العددَ مُنطَلَقاً تأويليّاً وعلامةً مُضمَرةً لمعانٍ رَهينةٍ بما تُوَلِّدُهُ القراءةُ، خُصوصاً أنّ هذا العَدد، بوَجْه خاصّ، مُثقَلٌ بدَلالات يتداخلُ فيها الدّينيُّ بالقُدسيِّ، ومُحمَّلٌ بتمثُّلات أسطوريّة ظلَّتْ تَنمُو عبرَ الزّمن، وخُصُوصاً أيْضاً أنّ هذا العَددَ يَرتَبطُ بحكايةٍ مُنْضَوية تحتَ كتابٍ راهَنَ عُنوانُهُ العامُّ على عَدد ذي صِلةٍ باللانهائيّ؛ إنّهُ عَددُ «الألْف»، وقد انضافَ إليه عَدَدٌ آخَرُ يَفتحُ على بَدايةٍ لا نهايَةَ لها. فهذا العُنوانُ يَتحكَّمُ في بنيةِ الكتاب، ويُوَلِّدُ، حسب بورخيس، الرّغبةَ في قراءَته[2]، بما يكشفُ أنّ أَهمّيةَ العَدد وحيَويّتَهُ في تأويل الكتاب بَيِّنَتان مِنْ عَتبته، أي مِنْ عُنوانه.

إنّ ما يُقوّي وَجْهَيْ الافتراض السابق ويُعضِّدُهُما هو التنبُّهُ إلى تكرار العَدَد «سبعة» في الحكاية، إذ لمْ يَقتصر وُرودُهُ على تَحديدِ عَدَدِ سفرات السندباد، بل امتدّ حُضورُهُ إلى مَتْن الحكاية. فقدْ وَرَدَ هذا العددُ في حكايةِ السّفرة الرابعة عندما تخلّصَ السندبادُ البَحريّ

(1) في نهاية السّفرة السادسة، يَروي السندبادُ حكايَتَها للخليفة هارون الرشيد الذي يأمُر المُؤرّخين بكتابتها. وهو ما جعلَ بعضَ الباحثين يَعْزُون هذا اللجوءَ إلى الكتابة، بُعَيْدَ هذه السّفرة، إلى كوْن حكاية السندباد تتضمّنُ ست أسفار فقط، غير أنّ السِّحْرَ الذي ينطوي عليه العدَد «سبعة» بَدا خليقاً بأنْ يَمنَحَها نهايةً مُرْضية، كما لو أنّ العدَد فرَضَ الاستجابةَ لدلالاتِ حمولتِه. انُظر: عبد الفتاح كيليطو، الأعمال، الجزء الرابع، حمّالو الحكاية، م. س.، ص. 62.

(2) Jorge Luis Borges, Œuvres completes, II, op. cit., p. 674.

مِـنَ السـودان الذيـن يَأكُلـون البَـشر، حيث مَكـثَ، كما تقـولُ الحكاية، «سـبعة أيّـام بلياليهـا» في الجزيـرة، قبْـل أنْ يَهتـديَ إلى الحَشـد الـذي كان يَجمـعُ الفلفـل. إلى جانـب ذلك، ذُكِـرَ العددُ «سَـبعة»، في حكايةِ السّـفرة الرابعـة ذاتِهـا، مُقترنـاً بالأرْغِفـة التـي وُضِعَـتْ في زادِ الرّجُـل الـذي دُفِـنَ حيّـاً في الجُـبِّ رفقـة زَوجتـه لمّـا فارَقَت الحيـاة. وتكـرّرَ العـددُ كذلـك أثنـاء إنـزال السـندباد البَحـريّ هـو أيضـاً إلى الجُـبِّ حيّـاً لمّـا تُوفِّيـتْ زَوجتُـهُ، وَفـقَ عادةِ قَـومٍ لا يُفرِّقون بـين الزّوْجَـيْن في حالة وفـاةِ أحَدِهـما، إذ يُدْفَـنُ الحـيُّ إلى جـوار الميـت. أبْعَـد مِـنْ ذلـك، لابدَّ مِـنَ الانتبـاه، في هـذا السـياق، إلى أنّ الأبيـاتَ الشـعريّةَ التـي تصدّرَت حكايـةَ سـندباد البَحـريّ وشـكّلت جُـزءاً مِـنْ إطارها العـامّ ووَجّهَـتْ مَسـارَ مَعناهـا، كان عددُهـا سَـبْعة. فالأبيـاتُ السَّـبعةُ كانـت حاسـمَةً في انطـلاقِ الحَـكي، لمُـدّةِ سَـبْعةِ أيّـام، عن سَـبْع سـفرات، كما سَـيَأتي بيـانُ ذلك.

لِحمولـةِ العَـدَد «سـبعة»، خـارجَ حكايـةِ السـندباد، شـعابٌ عَديدةٌ يَتداخـلُ فيهـا الأسـطوريُّ بالدينـيِّ وبالقُـدسـيّ. يمْكـنُ أنْ نَسـتثمرَ مِنْهـا شِـعْباً واحـداً يَخُـصُّ، وَفق ما تسـمَحُ به حكايةُ سـندباد البَحـريّ، علاقةَ العـدد «سـبعة» بالاسْـم الشـخصيّ، وبتحديـدِ الهُويّـة، خُصوصـاً أنّ مَوضوعـة «الاسـم» تُطِـلُّ، بصـورةٍ صَريحـةٍ قبْـل أنْ تَـسريَ مُضْمَـرَةً في ثنايـا الحَـكي، مُنـذ بدايـةِ الحكاية، أي مُنـذ لحظةِ التعارُف الـذي تمَّ بين السـندباد البَحـريّ والسـندباد الحمّال. مـا العلاقـة، إذاً، المُحتمَلة بين هذا العدَد واسْـم السـندباد البَحـريّ؟ لقد اقترنَ هذا العـددُ، مُنذ أزْمنةٍ سَـحيقة، بالتّسـمِيَة، إذ جسَّـدَ عددَ الأيّام التي تَسـبقُ تَسْـمِيَةَ المَولود، كـما هـي الحـال في العقيقـة وَفق منظـور الدين الإسـلاميّ. سـبعةُ أيّام يكـونُ فيهـا الفـردُ بـلا اسْـم، فتكـونُ تَسْـميَتُهُ في اليَـوم السـابع كـما لـو أنّهـا تحديـدٌ أوّليٌّ لهُويّتـه. أيَنطوي، إذاً، عَدَدُ سـفرات السـندباد البَحريّ عـلى مـا يَجعلُهـا تَسـويغاً لاسْـمه، وكشْـفاً لدلالـةِ الاسْـم، وتحديـداً لِلهُويّة؟

لربُمَّـا يَتعـينَّ الانتبـاه، أثنـاء التفكـير في هـذا السـؤال، إلى مَوضوعـةِ «البـاب» في بدايـةِ الحكايـة. لقـد شـغلَ «البـابُ» حيّزاً دلاليّاً هامّاً في الإطـار العـامّ لحكايـة السـندباد، إذ فَصلَ بين عالمَيْن؛ عالم الـبرّ، الذي فيـه عـاشَ السـندبادُ الحـمّال، وعـالم البَحـر والغرابـة والعجائبـيّ، الذي فيـه يَعيشُ السـندبادُ البَحريّ. اجتياز السـندباد الحـمّال لباب الدار، التي فيهـا يَقطـنُ السـندباد البَحـريّ، اقـترنَ بدَعـوةٍ تلقّاهـا مِـنْ صاحـبِ الدار، واقـترنَ، أساسـاً، بالتقريب والمُؤانسَـة والترحيـب والإطعام، قبْلَ أن تُثارَ مَسـألةُ الاسْـم، كـما لـوْ أنّ الأمرَ يَتعلّـقُ باحتفاءٍ بدلالةِ الاسْـم، وبطقُوس التهيُّـؤ لتعـرُّف هـذه الدّلالـة. أنْ تتقدَّمَ التّسْـميَةَ دَعوةٌ ومُؤانسـةٌ وتَرحيبٌ وإطعـامٌ، مَعْنَـاهُ، مِـمّا يَحتملُـهُ مِنْ مَعنـى، أنَّ الضيافةَ تَهيِيءٌ لاسـتيعاب دلالـةِ الاسْـم، ولِـما يَتطلّبُهُ هذا الاسـتيعابُ مِـنْ زَمَنٍ تحـدَّدَ، في الحكاية، في سَـبْعةِ أيّـام. ذلـك أنّ السـندباد الحـمّال دأبَ علَى الحُضـور إلى بَيْـتِ السـندباد البَحـريّ، لمُـدّةِ سـبعة أيّـامٍ مُتتاليـة، كي يَتعـرَّفَ مَـن هُـو هـذا الأخـير، أي أنْ يتعـرَّفَ اسْـمَه وهُويَّتَـه. كانَ كلُّ يَـوم، مِـنَ الأيّـام السَّـبعة التـي حَلَّ فيهـا السـندبادُ الحـمّال بالبَيـت، يُشـكّلُ إضـاءةً لجانـبٍ مِـنْ جَوانب شـخصيّةِ السـندباد البَحريّ، إذ أتاحَ الحَكيُ، الذي كان يتمُّ فِي كلِّ يَـوْمٍ مِـنَ الأيّـام السَّـبعة، اسـتجلاءَ سـفرةٍ مِنْ سـفرات السـندباد البَحريّ السَّـبع، إلى أنْ تَـمَّ، بحُلولِ اليَوم السـابع، اسـتجلاءُ مُختلـف جوَانب هذه الشـخصيّة. في كلِّ يَـوم، كان جُـزءٌ مِن اسْـمِ السـندباد البَحريّ يتكشَّـفُ، إلى أن اكتمَلَت التّسْـميَةُ بانتهاء الأيّام السَّـبعة. وبانتهائها، انتهَتْ حكايةُ السـندباد البَحـريّ بوَجْـهٍ عـامّ. ألا تُـوازي، إذاً، السّـفراتُ السَّـبع، بمَعنـى مـا، الأيّـامَ السَّـبعة التي تتقدَّمُ إطلاقَ الاسْـم على الفَـرد؟ ألمْ تكُن ضيافةُ السـندباد البَحـريّ إيذانـاً لـلأوّل بـأنْ يتعـرَّفَ الثاني، وبـأنْ يَسـتَوعبَ دلالةَ اسْـمِه؟ ألمْ تكُـن السّـفراتُ السَّـبْع، التـي تمّـتْ روايـةُ أحداثهـا في سَـبعةِ أيّـام، تنطـوي عـلى ظِلالِ الاحتفـاءِ بالتّسـمية، انطلاقاً مِن اسـتجلاءِ هُويّةَ السـندباد البَحريّ؟

ليْسَـت الأسـئلةُ السـابقةُ مُتحصّلـةً عـن حَـدْسٍ مِـنْ خـارج حكايـةِ السـندباد البَحـريّ. إنّهـا، عـلى العكـس، أسـئلةٌ مُتوَلِّـدةٌ مِـنْ داخـل

الحكايـة، وتحديـداً مـن بدايَتِهـا، التي تُشـكّلُ فيها مسـألةُ التّسْـمِيَة جُزءاً مِـنَ التأطـير العـامّ. فَبَعْـد تَرْحيـبِ السـندباد البَحـري بالسـندباد الحمّال وإطْعامِـه، سـألَ الأوّلُ الثـاني بصُـورَةٍ مُبـاشِرَة قائـلاً: «فـما يكونُ اسْـمُك؟ ومـا تُعـاني مِـنَ الصّنائـع؟ فقال لهُ: يا سـيّدي، اسـمي السـندباد الحمّال، وأنـا أحْمـلُ عـلى رأسي أسـبابَ النـاس بالأجـرة. فتبسَّـمَ صاحـبُ المـكان وقـال لـهُ: اِعلم يـا حمّال أنّ اسمَكَ مِثل اسـمي، فأنا السـندبادُ البَحريّ». إنّ سُـؤالَ السـندباد البَحـريّ وجَوابَـهُ، في هذا الشـاهد، مَصوغـان بتَوْجيه مِـنَ المَعنـى المُضمَـر في الأبيـات السَّـبْعة التـي أنشـدَها السـندبادُ البرّيَّ عندمـا تجـاوَزَ المصطبـة إلى البـاب، ومنـهُ إلى داخـلِ منـزل السـندباد البَحـريّ. تَوْجيهٌ بَيِّنٌ مِنْ سُـؤال السـندباد البَحريّ قرينَـهُ عن نَوْع مُعاناته، وبَـيِّنٌ أيضـاً مِـنْ إقـراره بالمُماثلـة بَيْنَـهُ وبَـيْنَ ضَيفـه. إنّهـا المُماثلـةُ التـي عملَـتْ حكايَـةُ السـندباد البَحـريَّ، في كلِّ أطوارهـا، عـلى إبـراز الاختـلاف الـذي يَبنيهـا، كـما لـو أنّ نمُـوَّ المعنـى، في حكايـةِ السّـفرات السَّـبْع، كان مَحكومـاً -أساسـاً- بالكشْـف عـن الاختـلاف البـاني للمُماثلـة.

تنطَـوي المُماثلـةُ في الاسْـم، إذاً، عـلى الاختـلاف. فالمُماثلـةُ ليْسَـت تطابُقـاً. مـن ثَـمَّ، احتفظَـت كلُّ شـخصيّةٍ مِـنَ الشـخصيّتينْ بصِفَـةٍ تُـبرزُ، في اسْـمِها، هـذا الاختـلافَ الـذي تَحَـدَّدَ، وَفْـق هـذه الصِّفـة، انطلاقـاً مِـمّا يَفصِـلُ المـاءَ عـن اليابسـة. الشِّـقُّ الأوّلُ من اسْـم الشـخصيّتينْ مُشـتَرَكٌ بينهُـما، أمّـا الثـاني، الـذي تُجَسِّـدُهُ الصِّفَـةُ، فمُختلِـفٌ. لكـنّ الاختـلافَ يَـسْري، بتأثـير واضِـحٍ مِـنَ الصِّفـةِ، حتّـى في المُشـترَكِ ذاتِـه، إذْ كان للصِّفـةِ المُشـكِّلة للاسْـم دَورٌ رَئيـسٌ في جَعْـل هـذا المُشـترَكَ مُختلفـاً في الآنَ نَفْسـه. لَعَـلّ هـذا مـا تَـرُومُ حكايـةُ السّـفرات السّـبع تأكيـدَهُ. لَقد كانـت، وهـي تَسْـتجْلي المُشـترك القائـمَ عـلى تحمُّـل المشـاقّ والأهـوال، تُـبرزُ، في الوَقـت ذاتـه، مـا تَختلـفُ فيـه أهـوالُ المـاء عـن أهـوال الـبرّ، عـلى نَحْـو جَعـلَ صِفَـةَ «البَحـريّ»، في اسْـم السـندباد، علامـةً فارقـةً بين الشـخصيَّتين. كان الاسـمُ، الـذي اقترنَـتْ بـه هـذه الصّفـةُ، مُتوَقِّفـاً عـلى دلالتِهـا. إنّهـا الدلالة التي أنْسَـتْ السـندبادَ البرّيَّ، وهي تتكشّـفُ تدريجيّاً عبرَ الحَكي، مشـاقّهُ ومُعاناته. كان السـندباد البرّيّ، وهو يُنصِتُ للحَكي،

يتعـرَّفُ جوانـبَ مِـنْ هـذه الصّفـة، أي يتعـرَّفُ اسـمَ السـندباد انطلاقـاً منهـا، ويتعـرَّفُ اختلافهُـما، في الآن ذاتـه، بنـاءً عليهـا. كانـت الحكايـة، وهـي تَكْشِـفُ عـن الأهـوال والشـدائد والمَصائـب، التـي كابَدَها السـندبادُ البَحـريّ، كـما لـو أنّهـا تَنسَـخُ مشـاقّ السـندباد الـبرّيّ ومُعاناتـه، وتَنتـزعُ اعترافَـهُ البَيِّنَ من دَهشـتهِ وتقديره، وتكشِـفُ هشاشـةَ حِمْلـه الذي عبّرَت عنـهُ الأبيـاتُ الشـعريّة بالقـول: «ومـا حمَـلَ الدّهـرُ يَوْمـاً كحِمْـلي». قَـولٌ أخـذَ يَفقـدُ مصداقيّتَهُ مُنذ حكايةِ السّـفرة الأولى. كأنّ المـاءَ الباني لصِفَةِ «البَحـريّ» جَـرَفَ صِفَـةَ «الحـمّال»، وجَـرَفَ مَعَها حمْـلَ السـندباد البرّيّ، وأبـانَ عـن خِفّةِ هذا الحِمْـلَ الذي كان صاحبُـهُ يُهوِّلُ منهُ. تهويـلٌ أضْمَرَتْهُ الأبيـاتُ السَّـبعة التـي أنشـدَها على باب السـندباد البَحـريّ، حتـى لَيُمْكِنُ أنْ تُقـرأ الحكايـاتُ السَّـبْعُ بأنّهـا نَسْـخٌ للظنـون التـي تضَمّنَتْهـا الأبيـاتُ السّـبعة، وهـو مـا سَـيأتي تَوضيحُـهُ في حينـه.

إنّ الأيّـام السَّـبعة، التي اسـتغرَقَتْها روايةُ حكايات السّـفرات السَّـبع، شـبيهةٌ بالتهيّـؤ للتَّسْـمية. فبَعْـد انتهـاءِ الأيّـام السّـبعة، يَكـونُ اسـمُ السـندباد البَحـريّ قـد تكشَّـفَ، ويكـونُ قرينُـه والمُنصتـون للحكايـات قـد أدْرَكـوا أنّ صِفَـةَ «البَحـريّ» في الاسْـم مُرادفـةٌ للمُغامَـرة، وللإقامـة عـلى حُـدُود الخَطَـر. لقـد تسـمَّى السـندبادُ بالبَحـريّ، لأنّ هُويّتَـهُ قائمـةٌ عـلى مـاءٍ لا يَعـرفُ الاسـتقرار، قائمـةٌ عـلى المُغامَـرة في أقاصي البحـار، وعلى المُخاطرة في حدِّها الأقصى. فحكايةُ السّـفراتِ السبع تُسـمِّي السـندبادَ وتَسْـتَجْلي هُويّتَـهُ. لَعَـلّ ما يَتعـينَّ الانتباه إليـه هو أنّ الحكايةَ تُشـدِّدُ، في سـياق التسـميَة، على الفَقدِ في تحديدِ هذه الهُويّة، إذ كان لافتاً أنّ ظُهورَ مَوضوعـةِ الاسْـم، في حكايَتـيْ السّـفرة الثانيـة والسّـفرة الثالثـة، اقـترنَ ببضاعـةٍ مَفقـودَةٍ عَمِـلَ السـندبادُ عـلى اسـتعادةِ ملكيّتها بروايـةِ حكايـة تُثبـتُ نِسـبةَ المَفقـود إليـه. إنّ مـا يُسـتعادُ، في أغلـب السّـفرات، يَظَـلُّ مَوشـوماً بتَجربـةٍ مَشـدودةٍ إلى الفَقـد والتيـه، باعتبارهـما مِـنْ مُحـدِّداتِ هُويّـةِ السـندباد البَحـريّ.

3. هُويّةُ الامتلاك بالتيه والفَقْد

يَحتفظُ تفكيرُ السندباد البَحريّ أوّلَ مرّة في السّفر بما يَصِلُ هذا التفكيرَ بمَوضوعةِ الفَقْد، قبْل أنْ تَسريَ تجلّياتُ هذا الفَقْد، بصُوَر أخرى، في الوَقائع التي شهدَتْها كُلُّ السّفرات السَّبْع. أمّا التّيه، فيكادُ يكونُ ثابتاً في كُلِّ سفرة. ما منْ سفرةٍ، مِنَ السّفرات السَّبْع، قصَدَتْ وجْهَتَها دُون تيه. ذلك أنّ التّيهَ شكّلَ مَوضوعةً رَئيسَةً في حكايةِ كلِّ سفرة، بل هو جُزءٌ مِن بنْيَةِ كلِّ حكايةٍ منَ الحكايات السَّبْع التي يَرويها السندبادُ البَحريّ. في كلِّ سفرةٍ، يَترسَّخُ الأمرُ التالي: كي يَهتديَ المرْءُ إلى وجْهَته، لابدّ أنْ يَتيهَ. فالتيهُ سَبيلُ كلِّ اهتداء. ومن ثَمَّ، شَهدَت الحكاياتُ السَّبْعُ تشابُكاً دلاليّاً بَينْ الفَقد والتيه. إنّ إضاعَةَ الملكيّة المَوروثة، والحِرْصَ على استعادة ملكيّة ذاتيّة بَعْد فَقْدها، وسلوكَ طريقٍ يقومُ دَوماً على التيه، أمورٌ مُتداخلةٌ في رَسْمِ هُويّةِ السندباد البَحريِّ؛ هُويّة لا تنفصِلُ عن المُخاطرة، بل بها تتحدَّدُ وتتجدَّدُ.

صرَّحَ السندبادُ البَحريّ بأنّ الشروعَ في السّفر انطلقَ أساساً، في البَدء، بَعْد إضاعَةِ إرْث الأب وبَيْع ما تبقّى منه، أو بتعبيره، بَعْدَ بَيْعِ جميع ما تَملكُ يَدُه. انطلاقُ السّفر، بهذا المعنى، تمَّ، إذاً، بدافعِ الانفصالِ عن الأب وشَقِّ بدايةٍ جديدة، أي بدافعِ البَحْث عن الذات واختبار أقْصَى مُمْكنها. لقد كانَ الانفصالُ، في تجربةِ السندباد البَحريّ، حَيويّاً في بناءِ هُويّته، حتّى وإن اتّخَذَت وجْهَةُ هذا الانفصالِ مَنحى دائريّاً، كما سَيأتي بَيانُه. انفصالٌ يتكشَّفُ، مِنْ بين ما منهُ يتكشَّفُ، منْ قراءةِ تماسِّ الحياة بالمَوت في تجربةِ السندباد البَحريّ، ومِنْ تَماسّ الفَقْد بالامتلاك فيها، وتماسِّ التيه بالاستهداء في الدّرب الذي تشُقُّه هذه الشخصيّةُ لحَياتها، على نَحْوِ جعلَ تجربةَ السندباد حَدِّيَّةً؛ تُقيمُ في الحَدِّ الفاصل بَين طرَفينْ مُتقابلينْ، وتَبْني مِن داخل هذا الحَدّ، الوَاصِلِ لا الفاصِل، مَعْنى خَصيباً للذات وللحَياة.

في هذه التجربة الحَدِّيَّةِ، تتخلّقُ الحياةُ منْ مُلامَسةِ المَوت، وتتحقّقُ النجاةُ على حافةِ الهلاك، ويتحَصّلُ الكسْبُ بإضاعَةِ المُمتلَك. في هذه

التجربـة، ثمَّـةَ مَشـهدٌ يَـكادُ يكـونُ ثابتـاً، يتعلّقُ الأمـرُ بالسـندباد وَحيداً بلا رفيـق، مُجـرَّداً مـن كلِّ شيء، وبـدُون متـاع. مـن داخل هذا المشـهد الذي يُقـوِّي دلالـةَ الانفصـال، تَبْـدَأُ، في الغالـب، مُغامَـرةُ اختبـار أقْصَـى مُمْكِـن الـذات، علـى شـفا المَـوت. بُلوغُ الأقـاصي، الذي تُرْسِـيهِ تجربةُ السـندباد، يُفيـدُ دَومـاً أنّ الطريقَ إلى البَعيد القَصيِّ تيـهٌ وفقدٌ، ويُفيدُ أنّ هذه الطريقَ إقامـةٌ لا علـى حُـدُودِ المَوت وحسـب، بل اختبـارٌ لأقسَى صِيَغـه وأقْصاها. ذلـك أنّ حكايـةَ السّـفرات السّـبْع تضمَّنَـت تدرُّجـاً في فَظاعـةِ المَـوت، كما لـوْ أنّهـا كانَـت تَـرُومُ الإقناعَ باختبار الشـخصيّةِ لكُلِّ أشـكاله.

إنّ السِّـمَةَ الحَدِّيَّـةَ جَعَلَـتْ مِنْ تَجربَةِ السـندباد إقامـةً في الأقاصي[1]، إذ لمْ يَكُـن مَفهـومُ الحَيَـاة، في هـذه التجربـة، مُنْفَصـلاً عـن المُخاطـرَة، وعـن مُلامَسَـةِ عتبـات المَـوت. لذلـك، كان مـا هـو حَـدّيٌّ في التجربـة واصـلاً، كـما سَـبقَت الإشـارةُ، بَـينَ طَـرَفَي الحَـدِّ لا فاصـلاً بَينَهُـما، لأنّ السّـفرات كشـفَت أنّ المُخَاطـرَةَ رُؤيـةٌ لحيـاةٍ تتخلَّـقُ مـن القـصيّ.

مـنْ ملامـحِ هـذا القصيّ في التجربـة، الانطلاقُ مِـنْ لا شيء، أي اتّخاذُ الفَقْـدِ سـبيلاً إلى الامتـلاك، واعتـمادُ التيـهِ سـبيلاً إلى الاهتـداء. ثمَّـةَ شَيءٌ يتحـرَّرُ منـهُ السـندبادُ البَحـريّ في بدايـةِ السَّـفر، كأنّ فكرةَ السَّـفر، بمـا هـي تجـدُّدٌ، مَشـدودةٌ إلى التخـلّي عـن إرْث الأب، أي عـن رَوابـطَ لا تَسْـمحُ بالمُغامَـرة والمُخاطرَة والانفصـال عن الجُذور، ولا تُتيحُ اكتشـافَ الـذات باكتشـاف الغَريـب عنهـا. صَحيـحٌ أنّ السـندباد يَعُـودُ دومـاً إلى مدينـةِ الانطـلاق؛ إلى مَوْطنـه الأصـليّ، ولكنّـهُ يَعـودُ بعْـدَ أن يَبتعـدَ عـن مـكان العَـودةِ بأقـصى مـا يَكـونُ البُعـد. هـذا البُعـدُ هـو ما يَسِـمُ العَـودةَ، إلى المَوطـن الأوّل، بمـا بـهِ تختلـفُ عـن لحظـةِ الانطـلاق. الإرثُ، في هـذا السـياق، اتّصـالٌ قائـمٌ علـى رَوابط، إنّهُ مُكـوثٌ في مكانٍ واحد، أمّا السَّـفرُ فتجـدُّدٌ يَسـمَحُ بالعَـودة إلى المـكان الأوّل، ولكـن برُؤيـةٍ أخـرى يَكُفُّ فيها

(1) القصيُّ هو أحدُ الملامح المُميّزة لكتاب «ألف ليلة وليلة». هو، كما يرى بورخيس، انطباعٌ يُوَلِّدُهُ هذا الكتاب، الذي فيه يُدرَكُ «الشرقُ» بأنّهُ هذا القصيّ. المرجع السابق. ص. 674.

المكانُ عن أنْ يَبقى هو نفسَـهُ، لأنّ العائدَ لمْ يبْقَ هُوَ هُو. السّـفرُ انفصالٌ عـن إرْث، بغايـة كسْـبِ ذاتيٍّ جديـد، انطلاقـاً مـن المُغامَـرة والمُخاطـرة، ومـن مُلامَسـةِ القَصيّ. مُلامَسـةٌ تجعَـلُ القريبَ يَخرُجُ عَـنْ صُورَتِه الأولى. إنّـهُ القُـربُ المُنطـوي على البُعد والمُتوَلِّـدُ منهُ، تَجَاوُباً مـع حَياةٍ مُتحصّلة علـى حُـدُودِ المَـوت، ومع امتلاك بالفَقد، ومَعَ اسـتهداءٍ بالتيـه. ومن ثَمَّ، إنّ مُنطلَـقَ السَّـفر، في تجربـة السـندباد البَحـريّ، يَكشِـفُ أهمّيـةَ الفقـدِ في التّحصيـل، وأهمّيتَـهُ في بنـاءِ الهُويّـة الذاتيّـة، بـل إنّ فِعْـلَ اسـتعادةِ المفقـود، في هـذه التجربـة، فعـلٌ مُمـدٌّ وواهبٌ. وفَضـلاً عمَّا بـه يمُدُّ هذا الفِعـلُ السـندبادَ البَحـريّ، يمُكّنُـهُ هـو أيضـاً مِـنَ الاضطـلاع بالهِبَـة، إذ بـه يَصيرُ قـادراً علـى العَطـاء. اسـتعادةُ المَفقـود وتحصيـلُ ما لمْ يَكُـن أصْلاً في حـوزة السـندباد، هُما مـا يَهَبُـهُ قُـدرةً علـى الحَـكي، وهُـما مـا يَجعلُـهُ في الآن ذاتـهِ واهبـاً. إنّ مَوضوعـةَ الهِبَـة، سـواء أتعلّقـت هـذه الهِبَة بمَنْح الهدايـا أم بتقديـمِ حكايـات، دالّـةٌ في تجربـةِ السـندباد البَحـريّ.

بَعْـدَ هـذا المَعنـى العـامّ، الـذي اتّخَـذَهُ الفَقـدُ في فكـرةِ السَّـفر التـي عنَّـتْ للسـندباد البَحـريّ، اتّخذَ الفَقدُ في السّـفرات السَّـبْع جميعِها صُورةً أخـرى. تَنطلـقُ كلُّ سـفرة بالتّهيُّـؤ والاسـتعداد، وذلـك بتَوفيرِ أسـبابها، أي اقتنـاء البَضائـع والأمْتعـة وحَـزْم حمـولٍ نَفيسـة. وتقـومُ كلُّ سـفرة، علـى نحـوٍ مُتواتـر، علـى فَقْدِ ما تمَّ تَوْفيرُهُ عُدّةً للسّـفرة، حتّى ليَبْـدُو أنّ البَضائعَ والحُمـولَ لا تُهَيَّـأ، في بدايـةِ السّـفرة، إلّا تَحضـيراً لمَشـهدِ فَقْدهـا، بوَصْف هـذا المَشـهد أحَـد ثوابـتِ كلِّ حكايـةٍ مِـنْ حكايـات السّـفرات السَّـبع. يَتمُّ تَوفـيرُ العُـدّةِ لا لتكـونَ سَـنداً للسّـفرِ وتأمينـاً لـه، بـل لِتُضاعِـفَ، بفَقْدهـا، المُغامَـرةَ والمُخاطـرَة، وتجعـلَ التجدُّدَ قائماً على انفصـالٍ دائم حتى وإنْ كان مَنحـاهُ دائريّـاً. هكـذا تكـونُ اسـتعادةُ العُـدّة الضّائعة، كـما في بَعض السّـفرات، أو تعويضُهـا بمـا هـو أحْسـن منهـا، كـما في سـفرات أُخـرى، تجـدُّداً ذاتيّـاً، يَكُـفُّ فيـه المُسـتعادُ عـن أنْ يَكُـونَ هـو نفسَـهُ، لأنَّ صاحبَـهُ لمْ يَبْـق، لحظـةَ اسـتعادته المَفقـودَ، هُـوَ هُـوَ، حتـى إنْ ظلَّـت البضاعـةُ المفقـودةُ هـيَ هـيَ. يَكـونُ الغُنْـمُ في الحالتـينْ مُتحصّـلاً عن تجربـةٍ حَدِّيَّة تُلامِـسُ الفَقـدَ التّـامّ، وتُرسّـخُ حَيَويّـةَ القَـصيِّ في بنـاءِ الهُويّـة. مِـنْ ثَـمَّ،

ليس صُدفةً أنْ تظهرَ دلالةُ «القَصِيّ»، في حكايةِ السّفرة الأخيرة، بدَوَالّ عديدة، أوّلها دالّ «الصّين»، إذ بلغت الرحلةُ «مدينة الصّين»، المُرتبطة بالبُعْدِ القَصيّ، ودالّ «آخِر» البحار وتخومها، إذ توَجَّهَ قائدُ المَركب إلى الرّكّاب قائلاً: «اعلموا أنّ الرّيحَ قد غلبَ علينا ورَمَانا في آخر بحار الدّنيا». وهو ما تَجَاوَب دلاليّاً مع الفَقد القصيّ، الذي طال كلَّ شَيء، إذ يقولُ السندبادُ البَحريّ، في حكايةِ السّفرة السَّابعة، عن المَركب: «فانكسَرَ وتفرَّقَتْ جَميعُ الألواح وغَرقَت جَميعُ الحمول والتّجار والرّكّاب في البَحر». هذا المَشهدُ الشاملُ تَجسيدٌ للقَصيِّ في التجربة، وتجسيدٌ لمُلامَسَةِ تُخومِ المُخاطَرَة. هكذا يَجدُ السندبادُ البَحريّ نَفسَهُ، وفق هذا المَشهد، في آخِر بحار الدّنيا، مُجرَّداً مِنْ كلِّ شَيء. أيكونُ هذا الفقدُ الشاملُ البلوغَ الأقصى في تجربةِ القَصيّ؟ أيكونُ هو ما أتاحَ الإشباعَ الشامل؟ أليسَ هذا الفَقْدُ الشاملُ، بما يَنطوي عليه مِنْ إشباعٍ شاملٍ، سببَ «تَوْبة» السندباد البَحريّ أخيراً مِنَ السّفر، رغم أنّ السَّفرَ كانَ مُحدِّداً لهُويَّته؟ ألمْ تكُن السّفرةُ السَّابعة، التي دامَتْ سبعَةَ وعشرين عاماً[1] (لنَنْتَبه مَرّةً أخرى لانبثاق العَدَد «سبعة») قمّةَ المُخاطرَة التي لا شيء بَعْدها؟ أليست «التوبة» منَ السّفر شَكلاً من أشكال بلوغ الأقصى الذي لا شيء وراءهُ، ممّا يُلزمُ بالأوْبَة؟ يمْكنُ اتّخاذ هذه الأسئلة كوى تأويليّة، في قراءات مُستقبليّة، لتأمُّل تَوبَةِ السندباد مِنَ السّفر، وللتساؤُل عمَّا يمْكنُ أنْ يَربطَ السَّفرَ بالتوبة[2].

يمْكنُ، استناداً إلى خَصيصَةِ الوَشائج التي تمَّ الإلماحُ إليها سابقاً، التنبّهُ، في سياق هُويّةٍ تقومُ على الفَقد، إلى علاقةِ استعادَةِ المَفقود،

---

(1) السّفرةُ السَّابعة هي الوحيدة التي تُحدِّدُ الحكايةُ زمَنَها. إذا افترَضْنا أنّ السّفرات الستّ السابقة عنها قد استغرَقَتْ هي أيضاً مدّة طويلة، فإنّ ما يترتّبُ على ذلك، هو أنّ السندبادَ البحري وَهَبَ حياتَهُ للسفر، وأنّ مُعظمَ حياته كانَ في السّفر، وما إصرارُه على رواية حكايةِ الأسفار إلاّ تمديدٌ، بمَعنى ما، للسفر أو لذكراه على الأقلّ.

(2) سبق لكيليطو، في هذا السياق، أن تساءلَ: «هل السّفَرُ مِنَ المَحظورات؟ ما هو الذَّنْب الذي اقترفَهُ [يقصد السندباد البَحريّ] والذي يَسْتَلزم التوبة؟». وقد رجّحَ كيليطو أنّ السندباد تابَ مِنْ «فتنة العالَم الغَريب والنزعة إلى الذوبان فيه». أُنظر: عبد الفتاح كيليطو، الأعمال، الجزء الثاني، الماضي حاضراً، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2015، ص. 98.

في حكايـةِ سـندباد البَحـريّ، بالمَنحـى الدائـريّ في الانفصـال الـذي عليه تَنهضُ الحكايـة. ذلـك أنّ المَسـارَ الذي تقطعُهُ كلُّ سـفرة، منَ السّـفرات السبع، يَنطـوي عـلى هـذا المَنحـى، إذ غالبـاً مـا يَصيرُ منُطلَـقُ السّـفرة، بَعْـد التّيـه ومُلامَسـةِ أقـصى الهَـلاك، هـو وجْهتَهـا. ومِـنْ ثـمّ، إنّ كُلَّ السّـفرات انطلقَـت مِـنْ بغـداد إلى البَـصرة، ثـمَّ إلى بحـارٍ وجزائـرَ ومُـدُنٍ نائيـة، قبْـل أنْ تَعـودَ إلى البَـصرة، ومِنْهـا إلى بغـداد. لكـنّ بغـداد بَعْـدَ السّـفر لا تَبقـى، في منظـور السـندباد البَحـريّ، هـي ذاتَهـا، لأنّ السـندباد يَعـودُ إليهـا مُحمَّـلاً بالقـصيِّ الـذي يَنطـوي على العجيـب والغَريـب، ولأنّ العائـدَ يَغـدو قـادراً على الاضطـلاع بمهمَّـة الحَـكي، أي بإخبارِ مَـنْ هُـم في بَغـداد بمـا يَجهلونَـهُ، وبمـا يَبـدُو لهُـم غَريبـاً ومُدهشـاً. ألمْ يُثِرِ السـندبادُ البَحـريّ حتـى إعجابَ الخليفة هارون الرشـيد، الذي يُجَسِّـدُ هرمَ السُّـلطة زَمنئـذ، لمـّا رَوى لـهُ أحـداثَ السّـفرة السادسـة؟

إنّ الدائـريَّ في رحلـة السـندباد ليـس مُغلقـاً. إنّـهُ قائـمٌ عـلى انفصـالٍ يُجـدِّدُ المُنطلَـقَ حتـى وهـو يُحـوِّلُ هـذا المُنطلـقَ إلى وجْهَـة. لا يَغـدو المُنطَلَـقُ وجْهَـةً إلاّ بَعْـدَ الفَقـد والتيـه واختبـار المَـوت، عـلى نَحْـوٍ يمُكّـنُ المُنطَلَـقَ مِـنْ أن يَحظـى بالغَريـب. لَعَلَّ هذا المَسـار هو مـا يَجعلُ تجربة سفراتِ السـندباد البَحـريّ، وإنْ انتهَـتْ دَومـاً بالعَـوْدة إلى المَوطـنِ الأوّل، قائمـةً عـلى الانفتـاح، لأنّ الغريـبَ يَصيرُ، في كلِّ عَـودةٍ، مُكوِّنـاً مِـنْ مُكوِّنـات التجربـة. الغُنـمُ في هـذه التجربـة مُتحصِّـلٌ مِـنَ التّيه، ومن اسـتعادة المَفقـود عـلى شـفا الهـلاك. إنّـهُ غُنـمٌ يمُكِّـنُ السـندبادَ البَحريَّ لا مِـنَ الجواهـر النفيسَـة، بـل أبْعَـد مـن ذلـك، يمُكّنُـهُ مِـنْ تجديـدِ ذاتـهِ ويُؤَهِّلُـهُ لروايـةِ حكايـات.

4. الحكي والسّفر

إنّ مـا يَصـلُ الحـكيَ بالسّـفر، في حكايـةِ السـندباد البَحـريّ، شـديدُ التشَّـعُّب والتَشـابُك. وهـو أمْـرٌ لا يقتـصرُ عـلى هـذه الحكايـة وَحْدَهـا، بل يَسِـمُ، بوَجْـهٍ عـامّ، الحَـكيَ في كتـاب «ألـف ليلـة وليلـة»، الـذي يُعَـدُّ مِـنَ

الكُتُبِ التي كشَفَت عن أسْرار الحَكي وعَوَالمِه، ورَسَّخَتِ الوَعيَ بكَوْنه سُلطةً نافذةً تَعْلُو على كُلّ السُّلَط، وقُوّةً قادرةً على إحداثِ التغيير في الذوات والمَواقف، وفي مُختلف مَناحي الحَيَاة.

لَعَلّ أوّلَ سِمَةٍ للتّشابُكِ القائم بَيْنَ الحَكي والسَّفر، في حكايةِ السندباد البَحْريّ، هو المَلمحُ الدائريُّ الذي يَحكُمُ العلاقةَ بَينهُما؛ فهذا المَلمحُ ضَالعُ الحُضُورِ في الحكاية، إذ تتعدَّدُ تجلّياتُه فيها، كما لوْ أنّ أثرَ بنيةِ المتاهةِ مُمتدٌّ فيه. لقد تمَّ الإلماحُ سابقاً إلى بَعْض هذه التجلّيات، ويمْكنُ مُواصلةُ الإشارَةِ إلى غَيْرِها اعتماداً على ما يَصِلُ الحَكيَ بالسّفر. ما يَتعينّ التشديدُ عليه، في إضاءَةِ هذا الأمْر، هو أنّ رَغبةَ السندباد في السّفر لمْ تكُن مُتَحصّلة، في البَدء، عن نُزوعٍ إلى التّجَدُّد وحسب، بل توَلَّدتْ أيضاً بإيعازٍ مِنْ حكايةِ تذكّرَها[1]، وَفقَ ما تضمَّنَهُ الإطارُ العامّ لقصّته. فبَعْد أنْ بدّدَ السندبادُ البَحريّ الثروةَ التي تَرَكها لهُ والِدُهُ، وانتبهَ، كما عبّرَ هو نفسُهُ، إلى أنّ مالَهُ قد مال وحالَهُ قد حال، تذكّرَ حكايةَ سُليمان بن داود، التي كانَتْ سبَبَ اتّخاذه قرارَ السَّفر. إنّ السّفرَ، في هذه الحال، مُترتِّبٌ، إذاً، على حكايةٍ، قبْل أنْ يُنتجَ هو أيضاً حكايَتَهُ. مِنَ الحَكي توَلَّدَتِ الرَّغبةُ في السّفر، الذي قادَ بدَوره إلى امتلاكِ القُدرة على الحَكي، وعلى إنتاجِ حكايات. الحَكيُ هو المُوَلِّدُ لرَغبةِ السّفر، والسّفرُ هو ما يُمَكِّنُ السندبادَ البَحريّ مِنَ الحَكي. فالعلاقةُ بين الحَكي والسَّفر دائريّة.

بناءً على هذه العلاقة الدائريّة، تبدو حكايةُ السندباد ناجمةً، هي ذاتُها، عمّا ترتَّبَ على تذكّره لحكايةٍ أيْقظَت لدَيْهِ الرّغبة في السّفر. وهو ما يُفضي إلى الإقرار أنّ الحكيَ كان حاسماً، بوَجْهٍ عامّ، في حَياة السندباد البَحريّ، كما لوْ أنّ هذه الحياةَ نِتاجٌ للحَكي لا العَكس. لهذا

(1) اللافت أنّ هذا التذكّر تعزَّزَ بتذكُّر ثلاثة أبيات شعريّة، على نَحْوٍ يَكشِفُ، في هذه الحالة، عن التآخي بين الحَكي والشِّعر. ذلك أنّ العلاقة بينهُما تأخُذُ، في حكاية السندباد البَحريّ، أكثرَ مِنْ وَجه. يُمكنُ أنْ نُميّزَ بين وَجهيْن؛ الأوّل قائمٌ على التعارُض، فيه يَسْعَى الحكيُ إلى نَسْخ حمولة الشِّعر، والثاني قائمٌ على التآخي، خُصُوصاً عندما يَشتَرِكَان في أداءِ وظيفةِ الدليل، أي عندما يَستهدي بهما السندبادُ البَحريّ في اتّخاذ القرار.

الأمْـر امتداداتُـهُ حتـى داخـلَ حكايـةِ السـندباد البَحـريّ، إذ كثـيراً مـا كان السـندبادُ يَعـثرُ عـلى تفسـيرٍ لوَقـائعَ تُصادفُـهُ في سَـفراته اعتـماداً عـلى تَذَكُّـرهِ لحكايـات، فتكـونُ المواقـفُ مُترتّبـةً عـلى الحكايـات لا العَكـس. وكثـيراً مـا كان يَلجـأ إلى روايـةِ حكايـةٍ مِنَ الحكايـات داخـلَ سَـفراته، على نحـوٍ يُتيـحُ الحديثَ، في هذه السّـفرات، عَن الحَـكي المُخلِّص، الذي يَظلُّ مَشـدوداً بخُيـوطٍ رَفيعـةٍ إلى ما يَصِلُهُ بعلاقةِ شـهرزاد بشـهريار. أبْعدَ مِنْ ذلـك، فقـدْ تحـوَّلَ السـندبادُ البَحريّ أثناء سـفراته، في أكثر مِنْ مُناسَـبةٍ، إلى مُسْـتَمِعٍ لحكايتـه وهـي تُـرْوَى لـهُ، وتُخـبرهُ أنّهُ شَـخصٌ لقـيَ حتفَهُ في البَحـر، فيَصـيرُ سَـماعُه لحكايتـه، التـي يَكـونُ فيهـا في عِـداد الأمـوات، دافِعـاً مُوقِظـاً لرَغْبَتِـهِ في التعريـف بنَفسِـه، وحافـزاً عـلى اسـترْجاعٍ، لا بضاعَتِـه التـي تَركهـا في المَركـب وحسـب، بـل اسـترجاع حَيَاتـه، وهـو مـا كانَ يُلزمُـهُ بروايـة تفاصيـلَ دقيقـةٍ مِـنْ حكايتـه كيْ يتسـنَّى لـهُ أنْ يُقنـعَ قائـدَ المركـب بـأنَّ الأمتعـةَ ملـكٌ لـهُ، وكي يتـأتَّى لـهُ، بفَضْـلِ الـسَّرد وقُوّةِ الحَـكي، أنْ يَعـودَ مِـنَ المَـوْت ويَغـدُوَ حيّـاً مِـنْ جَديـد. إنَّ العَـودةَ مـن المَـوت[1]، بتأثـيرِ مِـنَ الحـكي، ليْسَـتْ سِـوَى مَلمَـحٍ مِـنْ مَلامِـح الوَشـيجَةِ الصامتَـةِ بـين حَكايـةِ السـندباد البَحـريِّ وعلاقـةِ شَـهرزاد بشـهريار. إنّهـا وَشـيجَةٌ بَيّنَـةٌ مِـنْ قُـدْرَةِ الحَـكي عـلى تأمـينِ الحَياة واسـتعادَتِها مِـنْ قلْبِ المَوت[2].

تَسـمَحُ حكايـةُ السـندباد، بنـاءً عـلى مـا تقـدَّم، بالتمييـز فيهـا بَـيْنَ

(1) للعَوْدَة مِنَ المَوت تجليات عديدةٌ في حكاية سندباد البَحريّ. وهي أحدُ المواقع القرائيّة الواعدة في تأوُّل الحكاية. مِنْ أهمّ تجلّيات هذه العَودة، مسألة دَفن الأحياء مثلاً. ذلك ما خبرهُ السندباد البَحريّ تجربةً لمّا دُفنَ حيّاً إلى جوار زَوجته التي فارَقت الحياة، على نَحْوٍ «أتاحَ» له مُجاوَرةَ المَوت قبْل أنْ يَهتديَ إلى كوّةٍ تقودُ إلى الحياة. إنّ دلالات مُجاوَرَة المَوت ودلالاتِ العَودَة منهُ شديدةُ الخُصوبة، في تجربة السندباد البَحريّ، لِما تفتحُهُ من دُروبٍ للتأويل.

(2) لا نَعثرُ على هذه الوشيجَة، التي تظهرُ داخل الحكاية وليس في علاقة السندباد البَحريّ بالسندباد البرّيّ، بَين ما يَحكمُ، العلاقتيْن المَركزيّتيْن في الحكاية؛ علاقة شهرزاد بشهريار وعلاقة السندباد البَحريّ بالسندباد البرّيّ. ذلك أنّ ما يَحكمُهما يَبدُو، كما قال كيليطو، مَعكوساً. في العلاقة الأولى، الضَّعيفُ مَنْ يتكفّلُ بالحَكي، أمّا في حكايةِ السندباد، فالقويُّ مَنْ ينهضُ به. أُنظر: عبد الفتاح كيليطو، الأعمال، الجزء الثاني، الماضي حاضراً، م. س.، ص. 96.

نمَطيْن مِنَ الحَكي. أوّلهما؛ الحكيُ الباني لها مِنَ الدّاخل، أي الحَكيُ بما هو جُزءٌ مِنَ كلّ سفرة وجُزءٌ مِنَ المُغامَرة، باعتباره يَتمُّ داخل السَّفر ويُسْهِمُ في الوَقائع والمَواقف ونمُوِّ الأحداث، على نَحوٍ يكشِفُ التشابُكَ الحَيويَّ بَينْ الحكي والسّفر. وثانيهما؛ الحَكي الخارجيّ، ويَتضمّنُ لحظتيْن، اللحظة التي كانَ الحكيُ فيها يَلي مُباشَرةً كلَّ سفرةٍ، وفيه يَرْوي السندبادُ لأهْلهِ وصَحْبهِ ما وَقعَ لهُ في السّفرة، ثمّ اللحظة المُرتبطة بإعادة الحَكي، وهي التي تمّت في سَبعةِ أيّام، بسبَب لقاءِ السندباد البَحريّ بالسندباد البرّيّ، الذي كانَ، وإنْ أنْصتَ للحكايات في مَجْلسٍ ضَمَّ أصحابَ السندباد البَحريّ، المُتلقِّي الفعليَّ المَقْصُودَ مِنْ إعادةِ روايةِ الحكايات، التي غَدَتْ، في هذه الحال، حكايةَ حياةٍ كاملة[1]. فالنّمطُ الثاني مِنَ الحَكي كانَ يَتضمّنُ، لا فقط الحَكيَ الذي قامَ به السندبادُ البَحريّ في سياقاتٍ مُختلفة أثناء سفراته، بل أيْضاً الحكايات برُمَّتها، ما دامَ يُعيدُها للسندباد البرّيّ بوَجْهٍ خاصّ.

ما الداعي، عُموماً، الذي دَفعَ السندبادَ البَحريّ إلى أنْ يُعيدَ روايَةَ حكايتِه؟ لا يَشرَعُ السندبادُ البَحريّ في إعادةِ حكايتِه بناءً على طلَب أو سُؤال تلقّاهُ مِن جهةٍ ترغَبُ في الإنصات للحكاية. ذلك أنّ السَّردَ يَتولَّدُ، في الغالب العامّ، بناءً على طلَبٍ صَريح أو ضِمْنيٍّ يَكشِفُ عَن الرغبة في السماع. وهو أمْرٌ مُتحكِّمٌ، بمَعنى ما، في علاقةِ شهرزاد بشهريار. كما أنّ ساردَ الحكاية، أيِّ حكاية، يَحرصُ دوْماً، في بنائهِ لها، على تَجديدِ رَغبةِ المُتلقِّي في السماع، وعلى تقويّةِ هذه الرغبة، بما يمَنعُ مِن انطفائها وخُمودها، ذلك أنّ توَقُّدَ هذه الرَّغبة أساسُ التعاقُدِ بَينَ السارد والمُتلقِّي، وأساسُ استِمْرَار الحَكيْ. لا تُصرِّحُ حكايةُ السندباد البَحريّ بطَلَب تلقّاهُ صاحبُها وحَثَّهُ على روايَتِها، لكنّ عدمَ التصريح بالطلب لا يَعني غيابَهُ، أو بدقّة أكبر، لا يَعْني عدمَ حِرْص السندباد البَحريّ على تَوْليدِه واتّخاذِه تَعِلّةً لانطلاق الحَكي. لابدّ، إذاً، مِنَ الانتباه

---

(1) لا ينبغي أيضاً أنْ نَنْسَى، في هذا السياق، أنّ المتلقِّي الفعليَّ للحكايات هو شهريار.

إلى أنّ السندبادَ البَحريَّ عندما أرسلَ غُلامَهُ لدَعوةِ السندباد البرّيّ إلى قلْبِ المَنزل، طَلبَ منْ هذا الأخير أنْ يُعيدَ إنشادَ الأبياتِ الشعريّةَ التي سَبقَ للسندباد البرّيِّ أنْ أنشدَها وهو بالبَاب. إنّ طلبَ إعادةِ الإنشاد هو، في العُمق، مُسَوِّغُ إعادةِ السندباد البَحريّ رواية حكايته[1]، التي سَبق أنْ سَردَها مُتقطّعةً عقبَ كلِّ عَوْدَةٍ مِنْ إحْدَى سفراته السَّبْع. إنّهُ يُعيدُ روايتَها مُتتاليةً، في سَبعةِ أيّام، للسندباد البرّيّ بوَجْهٍ خاصّ، بَعد مُطالبَته بإعادَةِ الأبيات التي فيها عثرَ السندبادُ البَحريّ على سُؤالٍ ضمْنيّ. كأنّ السندبادَ البرّيَّ كان يَتوجَّهُ، بما تَضمّنَتْهُ الأبياتُ منْ مَعْنى، إلى السندباد البَحريّ بالسُّؤال التالي: كيف تَسْعَدُ بهذه النِّعَم دُون جهدٍ أو مَشقّة، وكيفَ أشقى في التعاسة رغم أن حِمْلي لا مَثيل له؟ وهو ما ردَّ عليه السندباد البَحريّ بالقول: «يا حمّال اعلم أنّ لي قصّةً عجيبةً، وسَوف أخبرُك بجَميع ما صارَ لي وما جرَى لي من قبْل أنْ أصيرَ إلى هذه السعادة وأجلسَ في هذا المكان الذي تراني فيه. فإنّي ما وَصَلتُ إلى هذه السّعادة وهذا المكان إلّا بَعْدَ تَعَبٍ شديد، ومشقّةٍ عظيمةٍ، وأهوالٍ كثيرة. وكم قاسيْتُ مِنَ التّعَبِ والنّصَبِ».

هكذا انطلقَتْ روايةُ الحكايةِ ناسِخةً مَضْمُونَ الأبيات الشعريّة، كما سبقَت الإشارة. كلُّ حكايةٍ من حكاياتِ السّفرات السّبع كشفَتْ عَنْ مَشاقّ وشدائدَ وأهْوالٍ وَفقَ تَدرُّجٍ بَيِّنٍ، إذ انتظمَ اعتماداً على الانتقال مِنْ مُصيبَةٍ إلى أخرى أشَدَّ وأصعَبَ. إنّ ثمّة، أبْعدَ مِنْ ذلك، تَدَرُّجاً لا في حِدَّةِ المَصائب وحسب، بل في صيَغ المَوت أيضاً. في كُلِّ سفرةٍ لاحقة، تتبدَّى فداحةُ الموت، حتى غَدَتْ عبارةُ «إنّ هذا الموتَ أصعبُ من المَوتِ الأوّل» مألوفةً لدى قارئ الحكاية. تَنطوي كلُّ سفرة لاحقةٍ على ما يَتجاوَزُ سابقتَها في حدَّةِ الموت. مِنْ مِيتَةٍ إلى مِيتَةٍ، كانتِ

---

(1) ثمّة ما هو أعمقُ مِنْ هذا المُسَوِّغ، إذ يتعلّقُ الأمرُ بنُزوع أصيل، في كيان السندباد البَحريّ، إلى السّفر. وبذلك، لمْ يَعمل، في الأصْل، إلّا على خلْقِ تَعِلّةٍ كيْ ينطلِقَ في الحَكي لسَبَبَيْن على الأقلّ. السَّبَبُ الأوّل، تحويل ما سَبقَ أنْ رَواهُ مُتقطّعاً إلى حكايةٍ مُتتالية. السَّببُ الثاني، اسْتحضارُ السَّفر ولو عبْرَ الحَكي، بعْدَ أنْ كفَّ عنْ أنْ يكونَ تجربةً مَلمُوسة. كأنّ الأمْرَ تمديدٌ لنُزُوع السندباد البَحريّ إلى السَّفر، ولكن بالحَكي وعبْرَ الحكي.

الفظاعـةُ تشـتدُّ وتتضخَّـم، إلى أنْ فقـدَ ادّعـاءُ السِّـندباد الـبرّيّ، القائـمُ علـى أنّ حِمْلـه بـلا مثيـل، مصداقيّتَـهُ، وبَـدا بـلا مَعنـى. لرُبمَّـا كانَ التكرارُ اللافـت للفـظ «الحمـول»، في بدايـةِ كلِّ سـفرةٍ، يَـرُومُ، ضِمنيّـاً، نَسْـخَ الحمـول البَرّيّـة، وتجريـدَ السـندباد الـبرّيّ مِـنْ صِفـةِ «الحـمّال» كلّـما اقـترنَ الحِمْـلُ بالمـاء، أي بالبَحـر[1].

لقـد احتكمَـتْ كلُّ حكايـةٍ مِـنَ الحكايـات السَّـبع إلى بنيـةٍ شـبْه قـارَّة. بنيـةٌ لا تَنفصِـلُ عَـنْ نمُـوِّ المَعنـى وَفـق قانـونِ نَسْـخِ مـا تَضمَّنَتْـهُ الأبيـاتُ الشـعريّة. ومـع ذلـك، فهـذا القانونُ، علـى أهمّيّتـه، ليس هو مـا يتحكّـمُ، في الأصـل، في عنـاصر هـذه البنيـة. إنّ ما يتحكّمُ فيها أساسـاً هو السَّـفر، إذ ليْسَـت سِـوَى مَلمـحٍ مِنْ مَلامِح التشـابُكِ القائم بَيْنَهُ وبَـيْنَ الحكي. مُنذ حكايـةِ السّـفرة الثانيـةِ، التـي اسـتعادَتْ، بوَجْـهٍ عـامّ، مُتواليـاتِ حكايـةِ السّـفرة الأولى، يُـدْرِكُ القـارئُ العنـاصرَ الثابتـةَ في هـذه البنيـة، التـي لـن تكُـفّ عـن التَّواتُـر في باقـي الحكايـات. لقـد انتظمَـتْ هـذه البنيـة وَفقَ المتواليـات الآتيـة: الشـوقُ إلى السّـفر، حَـزمُ الأمتعـة، انطلاقُ الرِّحلـة مَوسـومةً في البَـدْء بالهـدوء والسـكينة، حُـدوثُ مـا يُحطِّمُ المَركـب أو ما يجعـل السـندباد البَحـريّ يتخلَّـفُ عـن اللحـاق بـه، انطـلاقُ مَرحلـة التيـه التـي يكـونُ فيهـا السـندبادُ وَحيـداً ومُجـرَّداً مـن كلِّ شيء، مُكابـدةُ أشـقِّ الأهـوال والعيـش على حافـة المـوت، بلـوغُ أقـصى العـوالم واكتشـافُ الغريـب والعجيـب فيهـا، الظفر بأشـياء نفيسـة، بدايـةُ الانفـراج باهتداءِ السـندباد البَحـريّ إلى مَـنْ يُسـاعدَهُ علـى العَـودة إلى موطنـه الأوّل. إنَّ بنيـة الحكايـة مُسـتمدّةٌ، وفـق مـا هـو بَـيِّنٌ مِـنْ مُتوالياتهـا، مِـنْ أطـوار السَّـفر. كـما أنّ الغُنـمَ بالغريب، بوَصفـه مُوَجِّهاً لهـذه المُتواليات، ناجمٌ عن السَّـفر، حتّى إنّ انتسـابَ حكاية السـندباد إلى الغرائبيّ مَشـدودةٌ إلى

(1) لكيليطو تأويلٌ عميقٌ في هذا السياق، إذ تنبّهَ إلى أنّ السندبادَ البرّيَّ، حتى وإنْ وَضَعَ حمْلهُ على مصطبة الباب، لمْ يَفقد صِفةَ الحمّال، لأنّه انتقلَ إلى الاضطلاع بحمْل آخَر، حمل حكاية السندباد البَحريّ، التي كان ثقلها يزدادُ يَوماً بَعد يوم أثناء سماع السندباد البرّيّ لها. لَعَلّ هذا التأويل هو ما حدا بكيليطو إلى عَنْوَنَةِ الجُزء الرابع من أعماله على النّحو التالي: «حمّالو الحكاية». أُنظُر: عبد الفتاح كيليطو، الأعمال، الجزء الرابع، حمّالو الحكاية، م. س.، ص. 69.

مُفارَقـةِ المـكان الأولّ، أي إلى الترحـال.

إنّ للتشـابُكِ القائـم بَـينْ الحَكي والسَّـفر، في حكايةِ سـندباد البَحريّ، وُجوهـاً عديـدةً، لأنّ هُوَيّةَ شـخصيّةِ السـندباد البَحريّ غَـيرُ قابلة للتحديد مَفصولـةً عـن السَّـفر. فالسـندبادُ البَحـريّ مِسْـفَارٌ، إنُّـهُ مُنجـذِبٌ، في كيانـه العَميـق، إلى الترّحـال. إنَّ التسـاؤلَ، تبعـاً لذلـك، عـمَّا يُسْـفِرُ عنـهُ السّـفَرُ لـدى هـذه الشـخصيّة المَسـكونَةِ بـه يَفتـحُ مُحاوَلـةَ الجَـواب عـن هـذا التساؤُل علـى دُرُوب تأويليّـةٍ عديـدة، وَفـق قُـدرة كلِّ قـراءة علـى اسـتكناه أسْرار السَّـفر، واسـتكناه علاقتـه بالحَـكي. لرُبَمَّـا يُسْـفرُ السَّـفَرُ لـدى السـندباد البَحـريّ، مِـن بَـين مـا يُسْـفرُ عنـه، عـن تَجربـةٍ حَدِّيَّـةٍ لا تتـوانى عَـنْ مُلامَسـةِ المَـوت ومُجاوَرَتـه، بغَايةِ الاقـتراب مِنْ عُمـقِ الحيـاة والتحقُّـق مـن اسـتيعابها بوَصْفهـا مُخاطـرَةً. ولرُبمّـا يُسْـفِرُ، أيْضـاً، عـن الحَـكي، الـذي بـهِ يَضمَـنُ السـندبادُ إقامَتَـهُ في ذكـرَى السَّـفر، وبـه يُؤَمّـنُ الانتقـالَ إلى خَيـالِ السَّـفرِ الـذي تُتيحُـهُ اللُّغـة، بَعْـدَ أنْ توقّـفَ الترحـالُ، وكـفَّ عـن أنْ يكـونَ تجربـةً حياتيّـةً مَلمُوسـة.

بالجُملـة، إنّ حكايـةَ سـندباد البَحـريّ، المَفتوحـةَ دَومـاً علـى التّحيين القـرائيِّ، تَبْنـي مَفهومـاً مُتطوِّراً للتجربـة.. مَفهومـاً يتقاطعُ مـع التصوُّرات الحديثـة. مِـنْ معـاني التجربـة، في هـذه الحكايـة، كونُهـا اختبـاراً للـذات علـى حُـدُود المـوت. التجربـة مُخاطـرَةٌ. الخطـرُ فيهـا جُـزءٌ مِـنَ النّجـاة، والاهتـداءُ إلى غُنْمهـا مُتحصّـلٌ مِـنَ التّيـه وناجـمٌ عنه.

خالد بلقاسم



حكايات السندباد

قالـت: بلغنـي أنـه كان في زمن الخليفـة أمير المؤمنين هارون الرشـيد، بمدينـة بغـداد، رجـل يقـال لـه السـندباد الحـمَّال، وكان رجلاً فقـير الحال يحمـل تاجرتـه عـلى رأسـه، فاتَّفـق له أنـه حمل، في يـوم من الأيّـام، حملة ثقيلـة، وكان ذلـك اليـوم شـديد الحـرّ، تعـب مـن تلـك الحملـة، وعـرق، واشـتدّ عليـه الحـرّ، فمـرّ عـلى بـاب رجل تاجـر قدّامـه كنـس ورشّ، وهناك هـواء معتـدل، وكان بجانـب الباب مصطبـة عريضة، فحطّ الحـمَّال حملته عـلى تلـك المصطبـة ليسـتريح ويشـمّ الهواء.

وأدرك شهر زاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (525)، قالـت: بلغنـي- أيُّهـا الملـك السـعيد- أن الحمَّال لمّا حـطّ حملتـه عـلى تلـك المصطبة ليسـتريح، ويشـمّ الهواء، خـرج عليه من ذلـك البـاب نسـيم رائق ورائحـة ذكية فاسـتلذّ الحمَّال لذلـك، وجلس على جانـب المصطبة، فسـمع في ذلك المكان نغم أوتـار وعود وأصوات مطربة وأنـواع إنشـاد معربـة، وسـمع- أيضـاً- أصـوات طيـور تناغـي وتسـبِّح اللـه (تعـالى) باختـلاف الأصـوات وسـائر اللّغـات، مـن قـماري وهـزار وشـحارير وبلبـل وفاخـت وكـروان، فعنـد ذلـك تعجَّـب في نفسـه، وطـرب طربـاً شـديداً، فتقـدَّم إلى ذلـك فوجـد داخـل البيـت بسـتاناً عظيـماً، ونظـر فيـه

غلماناً وعبيداً وخدماً وحشماً وشيئاً لا يوجد إلّا عند الملوك والسلاطين، وبعد ذلك هبطت عليه رائحة أطعمة طيِّبة زكية من جميع الألوان المختلفة والشراب الطيِّب، فرفع طَرْفه إلى السماء، وقال: سبحانك يا ربّ، ياخالق يا رازق، ترزق من تشاء بغير حساب. اللهمَّ إني أستغفرك من جميع الذنوب، وأتوب إليك من العيوب. يا ربّ، لا أعترض عليك في حكمك وقدرتك، فإنك لا تُسأل عمّا تفعل، وأنت على كلّ شيء قدير. سبحانك، تغني من تشاء، وتفقر من تشاء، وتعزّ من تشاء، وتذلّ من تشاء، لا إله إلّا أنت. ما أعظم شأنك! وما أقوى سلطانك! وما أحسن تدبيرك! قد أنعمت علي من تشاء من عبادك، فهذا المكان صاحبه في غاية النعمة، وهو متلذِّذ بالروائح اللطيفة والمآكل اللذيذة والمشارب الفاخرة في سائر الصفات، وقد حكمت في خلقك بما تريد وما قدَّرته عليهم؛ فمنهم تعبان، ومنهم مستريح، ومنهم سعيد، ومنهم من هو مثلي في غاية التعب والذّل، ثم أنشد يقول:

فكم من شقيٍّ بلا راحةٍ ... ينعم في خير فيَء وظلِّ

وأصبحت في تعب زائدٍ ... وأمري عجيب، وقد زاد حملي

وغيري سعيد بلا شقوةٍ ... وما حَمَل الدهر يوماً كحملي

ينعم في عيشة دائماً ... ببسط وعزٍّ وشربٍ وأكلِ

وكلّ الخلائق من نطفةٍ ... أنا مثل هذا، وهذا كمثلي

ولكن شتّان ما بيننا! ... وشتّان بين خمر وخلِّ!

ولست أقول عليك افتراءً ... فأنت حكيم حكمت بعدلِ

فلما فرغ السندباد الحمَّال من شعره ونظمه، أراد أن يحمل حملته ويسير، إذ قد طلع عليه من ذلك الباب غلام صغير السنّ حسن الوجه مليح القدّ فاخر الملابس، فقبض على يد الحمَّال، وقال له: ادخل، كلِّم سيِّدي فإنه يدعوك. فأراد الحمَّال الامتناع من الدخول مع الغلام فلم يقدر على ذلك، فحطَّ حملته عند الباب في دهليز المكان، ودخل مع

الغلام الدار، فوجد داراً مليحة، وعليها أنس ووقار، ونظر إلى مجلس عظيم فنظر فيه من السادات الكرام والموالي العظام، وفيه من جميع أصناف الزهر وجميع أصناف المشموم ومن أنواع النقل والفواكه وشيء كثير من أصناف الأطعمة النفيسة، وفيه مشروب من خواصّ دوالي الكرام، وفيه آلات السماع والطرب ومن أصناف الجواري الحسان، كلٌّ منهم في مقامه، على حسب الترتيب. وفي صدر ذلك المجلس رجل عظيم محترم قد لكزه الشيب في عوارضه، وهو مليح الصورة حسن المنظر وعليه هيبة ووقار وعزّ وافتخار. فعند ذلك، بهت السندباد الحمَّال وقال في نفسه: والله، إن هذا المكان من بقع الجنان، أو أنه يكون قصر ملك أو سلطان، ثم تأدَّب وسلَّم عليه، ودعا لهم، وقبَّل الأرض بين يديهم، ووقف وهو منكِّس راسه.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (526)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد الحمَّال لمّا قبَّل الأرض بين أيديهم، وقف منكَّس الرأس متخشّع، فأذن له صاحب المكان بالجلوس فجلس، وقد قرَّبه إليه، وصار يؤانسه بالكلام ويرحِّب به، ثم إنه قدَّم له شيئاً من أنواع الطعام المفتخر الطيِّب النفيس، فتقدَّم السندباد الحمَّال وسمَّى وأكل حتى اكتفى وشبع، وقال: الحمد لله على كلّ حال، ثم إنه غسل يديه وشكرهم على ذلك. فقال صاحب المكان: مرحباً بك، ونهارك مبارك. فما يكون اسمك؟ وما تعاني من الصنائع؟ فقال له: يا سيِّدي، اسمي السندباد الحمَّال، وأنا أحمل على رأسي أسباب الناس بالأجرة، فتبسَّم صاحب المكان وقال له: اعلمْ- يا حمَّال- أن اسمك مثل اسمي، فأنا السندباد البحري، ولكن- يا حمَّال- قصدي أن تسمعني الأبيات التي كنت تنشدها وأنت على الباب، فاستحى الحمَّال وقال له: بالله عليك، لا تؤاخذني فإن التعب والمشقّة وقلّة ما في اليد تعلِّم الإنسان قلّة الأدب والسفه. فقال له: لا تستحي، فأنت صرت أخي، فأنشدْ هذه الأبيات فإنها أعجبتني لمّا سمعتها منك، وأنت تنشدها على الباب؛ عند ذلك، أنشده الحمَّال تلك

الأبيات فأعجبته وطرب لسماعها، وقال له: اعلم أن لي قصّة عجيبة، وسوف أخبرك بجميع ما صار لي وما جرى لي من قبل أن أصير في هذه السعادة، وأجلس في هذا المكان الذي تراني فيه، فإني ما وصلت إلى هذه السعادة وهذا المكان، إلّا بعد تعب شديد ومشقّة عظيمة وأهوال كثيرة، وكم قاسيت في الزمن الأوَّل من التعب والنصب! وقد سافرت سبع سفرات، وكلّ سفرة لها حكاية تحيِّر الفكر. وكلّ ذلك بالقضاء والقدر، وليس من المكتوب مفرّ ولا مهرب.

الحكاية الأولى
(أوَّل السفرات)

اعلموا- يا سادة يا كرام- أنه كان لي أب تاجر، وكان من أكابر الناس والتجّار، وكان عنده مال كثير ونوال جزيل، وقد مات وأنا ولد صغير، وخلَّف لي مالاً وعقاراً وضياعاً. فلمّا كبرت وضعت يدي على الجميع، وقد أكلت أكلاً مليحاً، وشربت شرباً مليحاً، وعاشرت الشباب، وتجمّلت بلبس الثياب، ومشيت مع الخلّان والأصحاب، واعتقدت أن ذلك يدوم لي وينفعني، ولم أزل على هذه الحالة مدّةً من الزمان. ثم إني رجعت إلى عقلي، وأفقت من غفلتي فوجدت مالي قد مال، وحالي قد حال وقد ذهب جميع ما كان عندي، ولم أستفق لنفسي إلّا وأنا مرعوب مدهوش، وقد تفكَّرت حكاية كنت أسمعها سابقاً، وهي حكاية سيِّدنا سليمان بن داود (عليه السلام) في قوله: ثلاثة خير من ثلاثة، يوم الممات خير من يوم الولادة، وكلب حيّ خير من سبع ميِّت، والقبر خير من القصر.

ثـم إني قمـت وجمعـت مـا كان عنـدي مـن أثـاث وملبـوس وبعته، ثـم بعت عقـاري وجميـع مـا تملـك يـدي، فجمعـت ثلاثـة آلاف درهـم، وقـد خطـر ببـالي السـفر إلى بـلاد النـاس، وتذكَّـرت كلام بعـض الشـعراء حيـث قال:

بقدر الكدّ تُكتَسب المعـالـي	ومَنْ طلب العلا سهر الليالي
يغوص البحر من طلب اللآلئ	ويحظى بالسيادة والنـوالِ
ومَنْ طلب العلا من غير كَـدٍّ	أضاع العمر في طلب المحالِ

فعنـد ذلـك، هممـت فقمـت واشـتريت لي بضاعـة ومتاعـاً وأسـباباً وشـيئاً مـن أغـراض السـفر، وقـد سـمحت لي نفـسي بالسـفر في البحـر، فنزلـت المركـب وانحـدرت إلى مدينـة البـصرة مـع جماعـة مـن التجّـار وسرنـا في البحـر أيّامـاً وليـالي، وقـد مررنـا بجزيـرة بعـد جزيـرة ومـن بحـر إلى بحـر ومـن بـرٍّ إلى بَـرّ. وفي كلّ مـكان مررنـا بـه نبيـع ونشـتري ونقايـض بالبضائـع فيـه، وقـد انطلقنا في سـير البحـر إلى أن وصلنا إلى جزيـرة كأنها روضـة مـن ريـاض الجنّـة، فـأرسى بنـا صاحـب المركب عـلى تلـك الجزيرة، ورمـى مراسـيها وشـدَّ السـقالة، فنـزل جميـع مـن كان في المركـب في تلك الجزيـرة، وعملـوا لهـم كوانـين، وأوقـدوا فيهـا النـار، واختلفت أشـغالهم؛ فمنهـم مـن صـار يطبـخ، ومنهم من صـار يغسـل، ومنهم من صـار يتفرَّج، وكنـت أنـا مـن جملة المتفرِّجـين في جوانـب الجزيـرة. وقد اجتمـع الركَّاب عـلى أكل وشرب ولهـو ولعـب. فبينما نحـن على تلك الحالـة، وإذا بصاحب المركـب واقـف على جانبه، وصاح بأعـلى صوته: يا ركّاب السـلامة، أسرعوا واطلعـوا إلى المركـب، وبـادروا إلى الطلـوع، واتركـوا أسـبابكم، واهربـوا بأرواحكـم، وفـوزوا بسـلامة أنفسـكم مـن الهـلاك؛ فـإن هـذه الجزيـرة التي أنتـم عليهـا مـا هـي جزيـرة وإنمـا هي سـمكة كبـيرة رسـت في وسـط البحـر، فبنـى عليهـا الرمـل فصـارت مثـل الجزيـرة وقـد نبتـت عليهـا الأشـجار مـن قديـم الزمـان، فلـما أوقدتـم عليهـا النـار أحسَّـت بالسـخونة فتحرَّكـت، وفي هـذا الوقـت تنـزل بكـم في البحـر فتغرقـون جميعـاً، فاطلبـوا النجـاة لأنفسـكم قبـل الهـلاك.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (527)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن ريِّس المركب لمّا صاح على الركّاب وقال لهم: اطلبوا النجاة لأنفسكم، واتركوا الأسباب، ولمّا سمع الركّاب كلام ذلك الريِّس، أسرعوا وبادروا بالطلوع إلى المركب، وتركوا الأسباب وحوائجهم ودسوتهم وكوانينهم، فمنهم من لحق المركب، ومنهم من لم يلحقه وقد تحرَّكت تلك الجزيرة ونزلت إلى قرار البحر بجميع ما كان عليها، وانطبق عليها البحر العجاج المتلاطم بالأمواج، وكنت من جملة من تخلَّف في الجزيرة، فغرقت في البحر مع جملة من غرق، ولكن الله (تعالى) أنقذني ونجّاني من الغرق، ورزقني بقطعة خشب كبيرة من القطع التي كانوا يغسلون فيها فمسكتها بيدي، وركبتها من حلاوة الروح، ورفست في الماء برجلي مثل المجاذيف والأمواج تلعب بي يميناً وشمالاً. وقد نشر الريِّس قلاع المركب وسافر بالذين طلع بهم في المركب، ولم يلتفت لمن غرق منهم. ومازلت أنظر إلى ذلك المركب حتى خفي عن عيني، وأيقنت بالهلاك. ودخل عليَّ الليل وأنا على هذه الحالة، فمكثت على ما أنا فيه يوماً وليلة، وقد ساعدني الريح والأمواج إلى أن رست بي تحت جزيرة عالية وفيها أشجار مطلّة على البحر، فمسكت فرعاً من شجرة عالية، وتعلَّقت به بعدما أشرفت على الهلاك وتمسَّكت به إلى أن طلعت إلى الجزيرة، فوجدت في رجلي خدلاً وأثر أكل السمك في بطونهما، ولم أشعر بذلك من شدّة ما كنت فيه من الكرب والتعب، وقد ارتميت في الجزيرة وأنا مثل الميِّت وغبت عن وجودي، وغرقت في دهشتي، ولم أزل على هذه الحالة إلى ثاني يوم. وقد طلعت الشمس عليَّ، وانتبهت في الجزيرة فوجدت رجليَّ قد ورمتا، فسرت حزيناً على ما أنا فيه، فتارةً أزحف، وتارةً أحبو على ركبي. وكان في الجزيرة فواكه كثيرة، وعيون ماء عذب، فصرت آكل من تلك الفواكه، ولم أزل على هذه الحالة مدّة أيّام وليالٍ، فتنعنشت نفسي، ورُدَّت لي روحي، وقَويَت حركتي، وصرت أتفكَّر وأمشي في جانب الجزيرة وأتفرَّج بين الأشجار ممّا خلق الله (تعالى). وقد عملت لي عكّازاً من تلك الأشجار أتوكَّأ عليه. ولم أزل على هذه الحالة إلى أن تمشَّيت

يوماً من الأيّام في جانب الجزيرة، فلاحَ لي شبحٌ من بعيد فظننت أنه وحش أو أنه دابّة من دوابّ البحر، فتمشَّيت إلى نحوه، ولم أزل أتفرَّج عليه وإذا هو فرس عظيم المنظر، مربوط في جانب الجزيرة على شاطئ البحر، فدنوت منه، فصرخ عليَّ صرخة عظيمة، فارتعبت منه وأردت أن أرجع، وإذا برجل خرج من تحت الأرض، وصاح عليَّ، وتبعني وقال لي: من أنت؟ ومن أين جئت؟ وما سبب وصولك إلى هذا المكان؟ فقلت له: يا سيِّدي، اعلم أني رجل غريب، وكنت في مركب وغرقت أنا وبعض من كان فيها، فرزقني الله بقطعة خشب فركبتها وعامت بي إلى أن رمتني الأمواج في هذه الجزيرة. فلمّا سمع كلامي أمسكني من يدي، وقال لي: امشِ معي. فنزل بي في سرداب تحت الأرض، ودخل بي إلى قاعة كبيرة تحت الأرض وأجلسني في صدر تلك القاعة، وجاء لي بشيء من الطعام، وأنا كنت جائعاً فأكلت حتى شبعت واكتفيت، وارتاحت نفسي، ثم إنه سألني عن حالي وما جرى لي، فأخبرته بجميع ما كان من أمري من المبتدأ إلى المنتهى، فتعجَّب من قصَّتي. فلمّا فرغت من حكايتي، قلت: بالله عليك، ياسيِّدي، لا تؤاخذني، فأنا قد أخبرتك بحقيقة حالي وما جرى لي، وأنا أشتهي منك أن تخبرني من أنت، وما سبب جلوسك في هذه القاعة التي تحت الأرض، وما سبب ربطك هذه الفرس على جانب البحر، فقال لي: اعلم أننا جماعة متفرِّقون في هذه الجزيرة على جوانبها، ونحن سيّاس الملك المهرجان، وتحت أيدينا جميع خيوله. وفي كلّ شهر، عند القمر، نأتي بالخيل الجياد ونربطها في هذه الجزيرة من كلّ بكر، ونختفي في هذه القاعة تحت الأرض حتى لا يرانا أحد، فيجيء حصان من خيول البحر على رائحة تلك الخيل، ويطلع على البرّ فإن لم يرَ أحداً، يثب عليها ويقضي منها حاجته، وينزل عنها ويريد أخذها معه، فلا تقدر أن تسير معه من الرباط، فتصيح عليه ويضربها برأسه ورجليه ويصيح، فنسمع صوته، فنعلم أنه نزل عنها، فنطلع صارخين عليه، فيخاف وينزل البحر. والفرس تحمل وتلد مهراً أو مهرة تساوي خزنة مال، ولا يوجد لها نظير على وجه الأرض. وهذا وقت طلوع الحصان، وإن شاء الله (تعالى) آخذك معي إلى الملك المهرجان.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (528)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السايس قال للسندباد البحري: آخذك معي إلى الملك المهرجان وأفرِّجك على بلادنا. واعلم أنه لولا اجتماعك علينا ما كنت ترى أحداً في هذا المكان غيرنا، وكنت تموت كمداً، ولا يدري بك أحد، ولكن أنا أكون سبب حياتك ورجوعك إلى بلادك، فدعوت له وشكرته على فضله وإحسانه. فبينما نحن في هذا الكلام، وإذا بالحصان قد طلع من البحر وصرخ صرخة عظيمة، ثم وثب على الفرس فلمّا فرغ منها نزل عنها، وأراد أخذها معه فلم يقدر، ورفست وصاحت عليه فأخذ الرجل السايس سيفاً بيده ودرقة، وطلع من باب تلك القاعة، وهو يصيح على رفقته ويقول: اطلعوا إلى الحصان، ويضرب بالسيف على الدرقة، فجاء جماعة بالرماح صارخين، فجفل منهم الحصان وراح إلى حال سبيله، ونزل في البحر مثل الجاموس، وغاب تحت الماء. فعند ذلك، جلس الرجل قليلاً، وإذا هو بأصحابه قد جاؤوه، ومع كلّ واحد فرس يقودها، فنظروني عنده فسألوني عن أمري، فأخبرتهم بما حكيته له، وقربوا مني ومدّوا السماط وأكلوا، وعزموني، فأكلت معهم، ثم إنهم قاموا وركبوا الخيول، وأخذوني إلى مدينة الملك المهرجان، وقد دخلوا عليه وأعلموه بقصَّتي، فطلبني، فأدخلوني عليه وأوقفوني بين يديه، فسلَّمت عليه فردَّ عليَّ السلام ورحَّب بي وحيّاني بإكرام، وسألني عن حالي، فأخبرته بجميع ما حصل لي وبكلّ ما رأيته من المبتدأ إلى المنتهى. عند ذلك، تعجب ممّا وقع لي وممّا جرى لي، فعند ذلك قال لي: يا ولدي، والله لقد حصل لك مزيد السلامة، ولولا طول عمرك ما نجوت من هذه الشدائد، ولكن الحمد لله على السلامة. ثم إنه أحسن إليَّ وأكرمني وقرَّبني إليه وصار يؤانسني بالكلام والملاطفة، وجعلني عنده عاملاً في ميناء البحر وكاتباً على كلّ مركب عبرت إلى البرّ، وصرت واقفاً عنده لأقضي له مصالحه، وهو يحسن إليّ وينفعني من كلّ جانب، وقد كساني كسوة مليحة فاخرة، وصرت مقدَّماً عنده في الشفاعات وقضاء مصالح الناس، ولم أزل عنده مدّة طويلة. وأنا كلَّما أشقّ على

جانب البحر، اسأل التجّار والمسافرين والبحريين عن ناحية مدينة بغداد؛ لعل أحداً يخبرني عنها، فأروح معه إليها، وأعود إلى بلادي، فلم يعرفها أحد، ولم يعرف من يروح إليها، وقد تحيَّرت في ذلك وسئمت من طول الغربة. ولم أزل على هذه الحالة مدّة من الزمان إلى أن جئت يوماً من الأيّام، ودخلت على الملك المهرجان، فوجدت عنده جماعة من الهنود، فسلَّمت عليهم فردّوا علي السلام ورحَّبوا بي، وقد سألوني عن بلادي فذكرتها لهم، وسألتهم عن بلادهم فذكروا لي أنهم أجناس مختلفة؛ فمنهم الشاركية، وهم أشرف أجناسهم: لا يظلمون أحداً ولا يقهرونه، ومنهم جماعة تسمّى (البراهمة) وهم قوم لا يشربون الخمر أبداً، وإنما هم أصحاب حظّ وصفاء ولهو وطرب وجمال وخيول ومواشٍ، وأعلموني أن صنف الهنود يفترق على اثنين وسبعين فرقة، فتعجَّبت من ذلك غاية العجب!. ورأيت في مملكة المهرجان جزيرة من جملة الجزائر، يقال لها (كابل) يُسمَع فيها ضرب الدفوف والطبول، طول الليل. وقد أخبرنا أصحاب الجزائر والمسافرون أنهم أصحاب الجدّ والرأي. ورأيت في البحر سمكة طولها مئتا ذراع، ورأيت- أيضاً- سمكاً وجهه مثل وجه البوم، ورأيت في تلك السفرة كثيراً من العجائب والغرائب ممّا لو حكيته لكم لطال شرحه. ولم أزل أتفرَّج على تلك الجزائر وما فيها، إلى أن وقفت يوماً من الأيَّام على جانب البحر، وفي يدي عكّاز حسب عاداتي، وإذا بمركب قد أقبل وفيه تجّار كثيرون. فلمّا وصل إلى ميناء المدينة وفرضته، وطوى الريِّس قلوعه، وأرسله على البرّ، ومَدّ السقالة وأطلع البحرية جميع ما كان في ذلك المركب إلى البرّ، وأبطأوا في تطليعه، وأنا واقف أكتب عليهم، فقلت لصاحب المركب: هل بقي في مركبك شيء؟ فقال: نعم، يا سيّدي، معي بضائع في بطن المركب، ولكن صاحبها غرق معنا في البحر في بعض الجزائر، ونحن قادمون في البحر.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (529)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن الريِّس قال

للسندباد البحري أن صاحب هذه البضائع غرق، وصارت بضائعه معنا، فغرضنا أننا نبيعها ونأخذ ثمنها لأجل أن نوصله إلى أهله في مدينة بغداد، دار السلام، فقلت للريِّس: ما يكون اسم ذلك الرجل صاحب البضائع؟ فقال: اسمه السندباد البحري، وقد غرق معنا في البحر. فلمّا سمعت كلامه حقَّقت النظر فيه فعرفته، وصرخت عليه صرخة عظيمة، وقلت: يا ريِّس، اعلم أني أنا صاحب البضائع التي ذكرتها، وأنا السندباد البحري الذي نزلت من المركب في الجزيرة مع جملة مَنْ نزل من التجّار، ولمّا تحركت السمكة التي كنّا عليها وصحت أنت علينا، طلع من طلع وغرق الباقي، وكنت أنا من جملة من غرق، ولكن الله (تعالى) سلمني ونجَّاني من الغرق بقطعة كبيرة من القطع التي كان الركّاب يغسلون فيها، فركبتها وصرت أرفس برجلي، وساعدني الريح والموج إلى أن وصلت إلى هذه الجزيرة، فطلعت فيها وأعانني الله (تعالى) بسُيّاس الملك المهرجان، فأخبرته بقصَّتي، فأنعم عليَّ وجعلني كاتباً على ميناء هذه المدينة، فصرت أنتفع بخدمته، وصار لي عنده قبول، وهذه البضائع التي معك بضائعي ورزقي. قال الريِّس: لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. ما بقي لأحد أمانة ولا ذمّة، فقلت له: يا ريِّس، ما سبب ذلك وأنك سمعتني أخبرتك بقصَّتي؟ فقال الريِّس: لأنك سمعتني أقول أن معي بضائع صاحبها غرق، فتريد أن تأخذها بلا حقّ، وهذا حرام عليك، فإننا رأيناه لمّا غرق، وكان معه جماعة من الركّاب كثيرون وما نجا منهم أحد، فكيف تدَّعي أنك أنت صاحب البضائع؟ فقلت له: يا ريِّس، اسمع قصَّتي، وافهم كلامي يظهر لك صدقي، فإن الكذب سمة المنافقين، ثم إني حكيت للريِّس جميع ما كان مني، من حين خرجت معه من مدينة بغداد إلى أن وصلنا تلك الجزيرة التي غرقنا فيها، وأخبرته ببعض أحوال جرت بيني وبينه، فعند ذلك تحقَّق الريِّس والتجّار من صدقي فعرفوني وهنّأوني بالسلامة، وقالوا جميعاً: والله، ما كنّا نصدِّق بأنك نجوت من الغرق، ولكن رَزَقك الله عمراً جديداً. ثم إنهم أعطوني البضائع، فوجدت اسمي مكتوباً عليها ولم ينقص منها شيء، ففتحتها وأخرجت منها شيئاً نفيساً غالي

الثمـن، وحملتـه معـي بحريـة المركب، وطلعـت به إلى الملك، على سـبيل الهديـة، وأعلمـت الملـك بـأن هـذا المركـب هـو الـذي كنـت فيـه، وأخبرتـه أن بضائعـي وصلـت إليَّ بالتـمام والكـمال، وأن هـذه الهدية منهـا. فتعجَّب الملـك مـن ذلـك الأمر غايـة العجـب، وظهر له صدقـي في جميع مـا قلته، وقـد أحبَّنـي محبّة شـديدة، وأكرمنـي إكراماً زائداً، ووهب لي شـيئاً كثيراً في نظير هديِّتـي، ثـم بعـت حمولتي وما كان معي مـن البضائع وكسبت فيها شـيئاً كثـيراً، واشـتريت بضاعـة وأسـباباً ومتاعاً من تلـك المدينـة. ولمّا أراد تجّـار المركـب السـفر، شـحنت جميـع مـا كان معـي في المركـب، ودخلـت عنـد الملـك، وشـكرته عـلى فضلـه وإحسـانه، ثـم اسـتأذنته في السـفر إلى بـلادي وأهـلي فودَّعنـي وأعطـاني شـيئاً كثـيراً، عنـد سـفري، مـن متـاع تلـك المدينـة، فودعتـه ونزلـت المركـب وسـافرنا بـإذن اللـه (تعـالى)، وخدمنـا السـعد وسـاعدتنا المقاديـر. ولم نزل مسـافرين ليـلاً ونهـاراً إلى أن وصلنا، بالسـلامة، إلى مدينـة البـصرة، وطلعنـا إليهـا وأقمنـا فيهـا زمنـاً قليـلاً، وقـد فرحـت بسـلامتي وعـودتي إلى بـلادي. بعـد ذلـك، توجَّهـت إلى مدينة بغـداد، دار السـلام، ومعـي مـن الحمـول والمتـاع والأسـباب شيء كثير له قيمـة عظيمـة. ثـم جئـت إلى حـارتي، ودخلت بيتـي، وقد جـاء جميع أهلي وأصحـابي، ثـم إني اشـتريت لي خدمـاً وحشـماً ومماليـك وسراري وعبيـداً حتـى صـار عنـدي شيء كثـير، واشـتريت لي دوراً وأماكـن وعقـاراً أكـثر مـن الأوَّل. ثـم إني عـاشرت الأصحـاب، ورافقـت الخـلّان، وصرت أكـثر ممّا كنت عليـه في الزمـن الأوَّل، ونسـيت جميع ما كنت قاسـيت مـن التعب والغربة والمشـقّة وأهـوال السـفر، واشـتغلت باللذّات والمـسرّات والمـآكل الطيِّبة والمشـارب النفيسـة، ولم أزل عـلى هـذه الحالـة. وهـذا مـا كان في أوّل سـفراتي، وفي غـدٍ- إن شـاء اللـه (تعـالى)- أحـكي لكـم الثانيـة مـن السـبع سـفرات. ثـم إن السـندباد البحـري عـشّى السـندباد الـبرّي عنـده، وأمـر لـه بمئـة مثقـال ذهبـاً، وقال له: آنسـتنا في هـذا النهار، فشـكره الحمَّال، وأخذ معـه مـا وهبـه لـه وانـصرف إلى حـال سـبيله، وهـو متفكّـر فيـما يقـع ومـا يجـري للنـاس، ويتعجَّـب غايـة العجـب، ونـام تلـك الليلـة في منزلـه. ولمّا أصبـح الصبـاح، جـاء إلى بيـت السـندباد البحـري، ودخـل عنـده فرحَّـب

بـه وأكرمـه وأجلسـه عنـده، ولمـا حـضر بقيّـة أصحابـه قـدَّم لهـم الطعـام والـشراب، وقـد صفـا لهـم الوقـت، وحصـل لهـم الطـرب، فبـدأ السـندباد البحـري بالـكلام، وقـال: اعلمـوا، يـا إخـواني، أننـي كنـت في ألـذّ عيـش وأصفـى سرور عـلى مـا تقـدَّم ذكـره لكـم بالأمـس.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.



الحكاية الثانية

(السفرة الثانية)

وفي الليلة (530)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري لمّا اجتمع عنده أصحابه، قال لهم: إني كنت في ألذّ عيش إلى أن خطر ببالي، يوماً من الأيَّام، السفرَ إلى بلاد الناس، واشتاقت نفسي إلى التجارة والتفرُّج في البلدان والجزائر واكتساب المعاش، فهممت في ذلك الأمر، وأخرجت من مالي شيئاً كثيراً اشتريت به بضائع وأسباباً تصلح للسفر، وحزمتها وجئت إلى الساحل، فوجدت مركباً مليحاً جديداً، وله قلع قماش مليح، وهو كثير الرجال زائد العدّة، وأنزلت حمولتي فيه أنا وجماعة من التجّار، وقد سافرنا في ذلك النهار وطاب لنا السفر. ولم نزل من بحر إلى بحر، ومن جزيرة إلى جزيرة، وكلّ محلّ رسونا عليه نقابل التجّار وأرباب الدولة والبائعين والمشترين، ونبيع ونشتري ونقايض بالبضائع فيه. ولم نزل على هذه الحالة، إلى أن ألقتنا المقادير

علـى جزيـرة كثـيرة الأشـجار يانعـة الأثمـار فائحـة الأزهـار مترنمِّـة الأطيـار صافيـة الأنهـار، ولكـن ليـس بهـا دَيّـار ولا نافخ نار، فـأرسى بنـا الريِّس على تلـك الجزيـرة، وقـد طلع التجّـار والـركّاب إلى تلك الجزيـرة، يتفرَّجون على مـا بهـا مـن الأشـجار والأطيـار، ويسـبِّحون اللـه الواحـد القهّـار ويتعجَّبـون مـن قـدرة الملـك الجبّـار. فعنـد ذلـك، طلعـت إلى الجزيـرة مـع جملـة من طلـع، وجلسـت علـى عـين مـاء صـاف بـين الأشـجار، وكان معـي شيء من المـأكل، فجلسـت في هـذا المـكان آكل مـا قسـم اللـه (تعـالى) لي، وقـد طـاب النسـيم بذلـك المـكان، وصفـا لي الوقـت فأخذتنـي سِـنة مـن النـوم فارتحـت في ذلـك المكان، وقد اسـتغرقت في النوم وتلذَّذت بذلك النسـيم الطيِّـب والروائـح الزكيـة، ثـم إني قمت فلم أجد أحداً، لا مـن التجّار ولا من البحريـة، فتركـوني في الجزيـرة، وقـد التفـتُّ فيهـا يمينـاً وشـمالاً، فلم أجد بهـا أحـداً غـيري، فحصـل عنـدي قهـر شـديد، مـا عليـه مـن مزيـد، وكادت مـرارتي تنفقـع مـن شـدّة مـا أنـا فيـه مـن الغـمّ والحـزن والتعـب، ولم يكن معـي شيء مـن حطـام الدنيـا، ولا مـن المـأكل ولا مـن المـشرب، وصرت وحيـداً، وقـد تعبـت في نفـسي، ويئسـت من الحيـاة. بعد ذلـك، قمت على حيلي وتمشَّـيت في الجزيرة يميناً وشـمالاً، وصرت لا أسـتطيع الجلوس في محـلٍّ واحـد. ثـم إني صعـدت علـى شـجرة عاليـة، وصرت أنظـر مـن فوقهـا يمينـاً وشـمالاً، فلـم أرَ غـير سـماء ومـاء وأشـجار وأطيـار وجزر ورمـال، ثم حقَّقـت النظـر فـلاحَ لي في الجزيـرة شيء أبيض عظيم الخلقـة، فنزلت من فـوق الشـجرة وقصدتـه وصرت أمـشي إلى ناحيتـه، ولم أزل سـائراً إلى أن وصلـت إليـه، وإذا بـه قبّـة كبـيرة بيضـاء شـاهقة في العلـو، كبـيرة الدائرة، فدنـوت منهـا ودرت حولهـا، فلـم أجـد لهـا بابـاً، ولم أجـد لي قـوّة ولا حركة في الصعـود عليهـا مـن شـدّة النعومة، فعلمـت مكان وقـوفي، ودرت حول القبّـة أقيـس دائرتهـا فـإذا هـي خمسـون خطـوة وافية، فـصرت متفكِّـراً في الحيلـة الموصلـة إلى دخولها وقـد قرب زوال النهار وغروب الشـمس. وإذا بالشـمس قـد خفيـت، والجـوّ قـد أظلم، واحتجبت الشـمس عنـي، فظننت أنـه جـاء علـى الشـمس غمامـة، وكان ذلـك في زمـن الصيـف، فتعجَّبـت ورفعـت رأسي وتأمَّلـت في ذلـك، فرأيـت طـيراً عظيـم الخلقـة كبـير الجثـة

عريـض الأجنحـة طائـراً في الجـوّ، وهـو الذي غطّـى عين الشـمس وحجبها عـن الجزيـرة، فـازددت مـن ذلك عجبـاً، ثـم إني تذكَّـرت حكاية.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (531)، بلغنـي- أيُّهـا الملك السـعيد- أن السـندباد البحري لمّـا زاد تعجُّبـه مـن الطائـر الـذي رآه في الجزيـرة تذكّـر حكايـة، أخـبره بها-قديمـاً- أهل السـياحة والمسـافرون، وهـي أن في بعـض الجزائر طيراً عظيـماً يقـال لـه الـرخّ، يـزقّ أولاده بالأفيـال، فتحقّقـت أن القبّـة التـي رأيتهـا إنمـا هـي بيضـة مـن بيـض الـرخّ؛ ثـم إني تعجَّبـت مـن خلـق اللـه (تعـالى). فبينـما أنـا عـلى هـذه الحالـة، وإذا بذلـك الطـير نـزل عـلى تلـك القبّـة وحضنهـا بجناحيـه وقـد مَـدَّ رجليـه مـن خلفـه عـلى الأرض، ونـام عليهـا، فسـبحان مـن لا ينـام!. عنـد ذلك فككـت عمامتي من فـوق رأسي، وثنيتهـا وفتلتهـا حتـى صـارت مثـل الحبل وتحزَّمت بها، وشـددت وسـطي وربطـت نفـسي في رجـليَّ ذلـك الطـير، وشـددتها شـدّاً وثيقـاً، وقلـت في نفـسي: لعـلَّ هـذا يوصلنـي إلى بلاد المـدن والعـمار، ويكون ذلك أحسـن مـن جلـوسي في هـذه الجزيـرة. وبتّ تلك الليلة سـاهراً؛ خوفـاً من أن أنام فيطـير بي، عـلى حـين غفلة. فلـمّا طلـع الفجر، وبـان الصباح قـام الطائر مـن فـوق بيضتـه، وصـاح صيحـة عظيمة وارتفـع بي إلى الجـوّ حتى ظننت أنـه وصـل إلى عنـان السـماء، وبعـد ذلك تنـازل بي حتى نـزل إلى الأرض، وحَـطَّ عـلى مـكان مرتفـع عـال، فلـمّا وصلـت إلى الأرض أسرعـت وفككت الربـاط مـن رجليـه، وأنـا خائـف منـه، ولم يحـسّ بي. وبعـد مـا فككـت عمامتـي وخلّصتهـا مـن رجليـه، وأنـا أنتفـض، مشـيت في ذلـك المـكان ثـم إنـه أخـذ شـيئاً مـن وجـه الأرض في مخالبـه، وطـار إلى عنـان السـماء فتأمَّلتـه، فـإذا هـو حيّـة عظيمـة الخلقـة كبيرة الجسـم قد أخذهـا وذهب بهـا إلى البحـر، فتعجَّبـت مـن ذلـك. ثـم إني تمشَّـيت في ذلـك المـكان، فوجـدت نفـسي في مـكان عـال، وتحتـه وادٍ كبـير واسـع عميـق، وبجانبـه جبـل عظيـم شـاهق في العلـوّ، لا يقـدر أحدٌ أن يـرى أعلاه من فـرط علوِّه، وليـس لأحـد قـدرة عـلى الطلـوع فوقـه، فلمـت نفـسي عـلى مـا فعلتـه

وقلـت: يـا ليتنـي مكثـت في الجزيرة، فإنها أحسـن من هذا المـكان القفر، لأن الجزيـرة كان يوجـد فيهـا شيء آكلـه مـن أصنـاف الفواكـه، وأشرب مـن أنهارهـا، وهـذا المـكان ليـس فيه أشـجار ولا أثمار ولا أنهـار، فلا حول ولا قـوّة إلّا باللـه العـليّ العظيـم.. أنـا كلّـما انتهيـت مـن مصيبـة وقعـت فيـما هـو أعظـم منهـا وأشـدّ. ثـم إني قمـت وقوَّيـت نفـسي، ومشـيت في ذلـك الـوادي، فرأيـت أرضه مـن حجر الألماس الـذي يثقبون بـه المعادن والجواهـر ويثقبـون بـه الصينـي والجـزع وهو حجـر صلب يابـس لا يعمل فيـه الحديـد ولا الصخـر، ولا أحد يقـدر أن يقطع منه شـيئاً، ولا أن يكسره إلّا بحجـر الرصـاص. وكلّ ذلـك الـوادي حيّـات وأفـاعٍ، وكلّ واحـدة مثـل النخلـة، ومـن عظـم خلقتهـا لـو جاءهـا فيـل لابتلعتـه، وتلـك الحيّـات يظهـرن في الليـل، ويختفـين في النهـار خوفـاً مـن طـير الـرخّ أو النـسر أن يختطفهـا ويقطّعهـا، ولا أدري ما سـبب ذلك!، فأقمت بذلـك الوادي، وأنا متنـدِّم عـلى مـا فعلتـه، وقلـت في نفـسي: والله، إني قـد عجَّلـت بالهلاك عـلى نفـسي، وقـد ولّى النهـار عـليَّ، فـصرت أمـشي في ذلـك الـوادي، وألتفـت عـلى محـلّ أبيـت فيـه وأنا خائـف من تلـك الحيّات، ونسـيت أكلي وشربي ومعـاشي، واشـتغلت بنفـسي، فلاحَـت لي مغـارة بالقـرب منـي، فمشـيت فوجـدت بابهـا ضيِّقاً فدخلتهـا ونظرت إلى حجر كبـير عند بابها، فدفعتـه وسـددت بـه بـاب تلك المغـارة، وأنـا داخلهـا، وقلـت في نفسي: قـد أمنـت لمّـا دخلـت في هـذا المـكان، وإن طلـع النهـار أطلـع، وأنظـر ما تفعـل القـدرة. ثـم التفـتّ في داخـل المغـارة، فرأيـت حيّـة عظيمـة نائمة في صـدر المغـارة عـلى بيضهـا، فاقشـعرَّ بـدني، وأقمـت رأسي وسـلمت أمـري للقضـاء والقـدر، وبـتّ سـاهراً طـوال الليـل إلى أن طلـع الفجـر، ولاح، فزحـت الحجـر الـذي سـددت بـه بـاب المغـارة، وخرجـت منـه وأنا مثـل السـكران، دائـخ مـن شـدّة السـهر والجـوع والخـوف، وتمشَّـيت في الـوادي. وبينـما أنـا عـلى هـذه الحالـة، وإذا بذبيحـة قـد سـقطت مـن قدّامـي، ولم أجـد أحـداً فتعجَّبـت مـن ذلـك أشـدّ العجـب، وتفكَّـرت حكايـة أسـمعها مـن قديـم الزمان، مـن بعض التجّـار والمسـافرين وأهل السـياحة، أن في جبـال حجـر الألمـاس الأهـوال العظيمـة، ولا يقدر أحد

أن يسلك إليها، ولكن التجّار الذين يجلبون الألماس يعملون حيلة في الوصول إليه، ويأخذون الشاة من الغنم ويذبحونها ويسلخونها، ويرشون لحمها ويرمونه من أعلى ذلك الجبل إلى أرض الوادي، فتنزل وهي طريّة فيلتصق بها شيء من هذه الحجارة ثم تتركها التجّار إلى نصف النهار، فتنزل الطيور من النسور والرخ إلى ذلك اللحم، وتأخذه في مخالبها، وتصعد إلى أعلى الجبل، فيأتيها التجّار وتصيح عليها، فتصير عند ذلك اللحم، وتخلِّص منه الحجارة اللاصقة به، ويتركون اللحم للطيور والوحوش ويحملون الحجارة إلى بلادهم، ولا أحد يقدر أن يتوصَّل إلى مجيء حجر الألماس إلّا بهذه الحيلة.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (532) قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري صار يحكي لأصحابه جميع ما حصل له في جبل الماس، ويخبرهم أن التجّار لا يقدرون على مجيء شيء منه إلّا بحيلة مثل الذي ذكره، ثم قال: فلمّا نظرت إلى تلك الذبيحة تذكَّرت هذه الحكاية فقمت وجئت عند الذبيحة، فنقَّيت من هذه الحجارة شيئاً كثيراً، وأدخلته في جيبي وبين ثيابي، وصرت أنقِّي وأدخل في جيوبي وحزامي وعمامتي وبين حوائجي. فبينما أنا على هذه الحالة، وإذا بذبيحة كبيرة، فربطت نفسي عليها ونمت على ظهري، وجعلتها على صدري وأنا قابض عليها، فصارت عالية على الأرض، وإذا بنسر نزل على تلك الذبيحة وقبض عليها بمخالبه، وأقلع بها إلى الجوّ، وأنا معلَّق بها. ولم يزل طائراً بها إلى أن صعد بها إلى أعلى الجبل، وحطَّها، وأراد أن ينهش منها، وإذا بصيحة عظيمة عالية من خلف ذلك النسر، وشيء يخبط بالخشب على ذلك الجبل، فجفل النسر وطار إلى الجو، ففككت نفسي من الذبيحة وقد تلوَّثت ثيابي من دمها، ووقفت بجانبها، وإذا بذلك التاجر الذي صاح على النسر يتقدَّم إلى الذبيحة، فرآني واقفاً فلم يكلِّمني وقد فزع مني وارتعب، وأتى الذبيحة وقلَّبها، فلم يجد فيها شيئاً، فصاح صيحة عظيمة،

وقـال: واخيبتـاه! لا حـول ولا قـوّة إلّا باللـه. نعـوذ باللـه مـن الشـيطان الرجيـم، وهـو يتنـدَّم ويخبط كفّاً على كـفّ ويقول: واحسرتـاه! أيّ شيء هـذا الحـال؟، فتقدَّمـت إليـه، فقـال لي: مـن أنـت؟ ومـا سـبب مجيئـك إلى هـذا المـكان؟ فقلـت لـه: لا تخـف، ولا تخـش فـإني إنـسيّ مـن خيـار الإنـس، وكنـت تاجراً، ولي حكايـة عظيمة وقصّة غريبة. وسـبب وصولي إلى هـذا الجبـل وهـذا الـوادي حكايـة عجيبـة، فـلا تخـف فلك مـا يسرّك منـي، وأنـا معـي شيء كثـير مـن حجـر الألمـاس فأعطيـك منـه شـيئاً يكفيـك، وكلّ قطعـة معـي أحسـن مـن كلّ شيء يأتيـك، فـلا تجـزع ولا تخـف. عنـد ذلك، شـكرني الرجل، ودعـا لي وتحدَّث معـي، وإذا بالتجّار سـمعوا كلامـي مـع رفيقهـم، فجـاؤوا إليَّ، وكان كلّ تاجر رمـى ذبيحته، فلـمّا قدمـوا علينـا سلَّموا علينـا وهنَّـؤوني بالسـلامة، وأخـذوني معهم، وأعلمتهـم بجميـع قصَّتـي ومـا قاسـيته في سـفرتي، وأخبرتهـم بسـبب وصـولي إلى هـذا الـوادي، ثـم إني أعطيت لصاحب الذبيحـة التي تعلَّقت فيهـا شـيئاً كثـيراً مـمّا كان معـي ففرح بي ودعالي، وشـكرني عـلى ذلك. وقـال لي: و،اللـه، إنـه قـد كُتِـب لـك عمـر جديـد؛ فـما أحـد وصـل إلى هـذا المـكان قبلـك ونجـا منـه، ولكـن الحمـد للـه عـلى بسـلامتك، وباتوا في مـكان مليـح أمـان، وبـتّ عندهـم وأنـا فرحـان غايـة الفـرح بسـلامتي ونجـاتي مـن وادي الحيّات، ووصـولي إلى بلاد العمار. ولـمّـا طلع النهار، قمنـا وسرنـا عـلى ذلـك الجبـل العظيـم، وصرنـا ننظـر في ذلـك الجبـل حيّـات كثـيرة، ولم نـزل سـائرين إلى أن أتينـا بسـتاناً في جزيـرة عظيمـة مليحـة، وفيهـا شـجر الكافـور، وكلّ شـجرة منـه يسـتظلّ تحتها إنسـان، وإذا أراد أن يأخـذ منـه أحـد يثقـب من أعلى الشـجرة ثقباً بـشيء طويل، ويتلقّـى مـا ينـزل منـه فيسـيل منـه مـاء الكافـور، ويعقـد مثـل الشـمع وهـو عسـل ذلـك الشـجر، وبعدهـا تيبـس الشـجرة وتصـير حطبـاً. وفي تلـك الجزيـرة، صنـف مـن الوحوش يقـال له (الكركـدن) يرعى فيهـا رعياً مثـل مـا يرعـى البقـر والجامـوس في بلادنـا، ولكن جسـم ذلـك الوحش أكـبر مـن جسـم الجمل، ويأكل العلـق، وهو دابّة عظيمة لهـا قرن واحد غليـظ في وسـط رأسـها، طولـه قدر عـشرة أذرع وفيه صورة إنسـان، وفي

تلك الجزيرة شيء من صنف البقر. وقد قال لنا البحريّون المسافرون وأهل السياحة في الجبال والأراضي إن هذا الوحش المسمّى بـ(الكركدن) يحمل الفيل الكبير، على قرنه، ويرعى به في الجزيرة والسواحل، ولا يشعر به، ويموت الفيل على قرنه ويسيح دهنه من حرّ الشمس على رأسه، ويدخل في عينيه فيعمى، فيرقد في جانب السواحل، فيجيء له طير الرخّ فيحمله في مخالبه، ويروح به عند أولاده ويزقّهم به، وبما على قرنه. وقد رأيت في تلك الجزيرة شيئاً كثيراً من صنف الجاموس، ليس له عندنا نظير. وفي ذلك الوادي شيء كثير من حجر الألماس الذي حملته معي وخبّأته في جيبي، وقايضوني عليه ببضائع ومتاع من عندهم، وحملوها لي معهم، وأعطوني دراهم ودنانير. ولم أزل سائراً معهم، وأنا أتفرُّج على بلاد الناس، وعلى ما خلق الله، من وادٍ إلى واد ومن مدينة إلى مدينة، ونحن نبيع ونشتري إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة، وأقمنا بها أيّاماً قلائل، ثم جئت إلى مدينة بغداد.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (533)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري لمّا رجع من غيبته، ودخل مدينة بغداد، دار السلام، وجاء إلى حارته ودخل داره، ومعه من صنف حجر الألماس شيء كثير، ومعه مال ومتاع وبضائع لها صورة، وقد اجتمع بأهله وأقاربه ثم تصدُّق، ووهب وأعطى وهادى جميع أهله وأصحابه، وصار يأكل طيِّباً، ويشرب طيِّباً، ويلبس ملبساً طيِّباً، ويعاشر ويرافق، ونسي جميع ما قاساه. ولم يزل في عيش هنيّ وصفاء خاطر وانشراح صدر ولعب وطرب، وصار كلّ من سمع بقدومه يجيء إليه ويسأله عن حال السفر وأحوال البلاد، فيخبره ويحكي له ما لقيه وما قاساه، فيتعجَّب من شدَّة ما قاساه، ويهنِّئه بالسلامة. وهذا آخر ما جرى لي وما اتَّفق لي في السفرة الثانية. ثم قال لهم: وفي الغد، إن شاء الله (تعالى)، أحكي لكم حال السفرة الثالثة. فلمّا فرغ السندباد البحري من حكايته

للسندباد البرّي تعجَّبوا من ذلك ونعشوا عنده، وأمر للسندباد بمئة مثقال ذهباً، فأخذها وتوجَّه إلى حال سبيله، وهو يتعجَّب ممّا قاساه السندباد البحري، وشكره، ودعا له في بيته. ولمّا أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح، قام السندباد البرّي، كما أمره، ودخل إليه وصبَّح عليه، فرحَّب به، وجلس معه حتى أتاه باقي أصحابه وجماعته، فأكلوا وشربوا وتلذَّذوا وطربوا وانشرحوا، ثم ابتدأ السندباد البحري بالكلام وقال:

الحكاية الثالثة

(السفرة الثالثة)

اعلموا، يا إخواني، واسمعوا مني حكاية، فإنها أعجب من الحكايات المتقدّمة قبل تاريخه. والله أعلم بغيبة واحكم أني فيما مضى وتقدم لما جئت من السفرة الثانية وأنا في غاية البسط والانشراح، فرحان بالسلامة، وقد كسبت مالاً كثيراً كما حكيت لكم أمس تاريخه، وقد عوَّض الله على جميع ما راح مني. أقمت بمدينة بغداد مدّة من الزمان، وأنا في غاية الحظّ والصفاء والبسط والانشراح، فاشتاقت نفسي إلى السفر والفرجة، وتشوَّقت إلى المتجر والكسب والفوائد، والنفس أمّارة بالسوء فهممت واشتريت شيئاً كثيراً من البضائع المناسبة لسفر البحر، وحزمتها للسفر، وسافرت بها من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة، وجئت إلى ساحل البحر فرأيت مركباً عظيماً فيه تجّار وركّاب كثيرة، أهل خير وناس ملاح طيِّبون، أهل دين ومعروف

وصلاح، فنزلت معهم في ذلك المركب، وسافرنا على بركة الله (تعالى)، بعونه وتوفيقه، وقد استبشرنا بالخير والسلامة. ولم نزل سائرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة ومن مدينة، إلى مدينة وفي كلّ مكان مررنا عليه نتفرَّج ونبيع ونشتري، ونحن في غاية الفرح والسرور إلى أن كنّا، يوماً من الأيّام، سائرين في وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج فإذا بالريِّس، وهو جانب المركب، ينظر إلى نواحي البحر، ثم إنه لطم وجهه، وطوى قلوع المركب، ورمى مراسيه، ونتف لحيته ومزَّق ثيابه، وصاح صيحة عظيمة، فقلنا له: يا ريِّس، ما الخبر؟ فقال: اعلموا، يا ركّاب السلامة، أن الريح غلب علينا، وعسف بنا في وسط البحر، ورمتنا المقادير- لسوء بختنا- إلى جبل القرود، وما وصل إلى هذا المكان أحد، وسَلِم منه قطّ، وقد أحسّ قلبي بهلاكنا أجمعين. فما استتمّ قول الريِّس حتى جاءنا القرود، وأحاطوا المركب من كلّ جانب، وهم شيء كثير مثل الجراد المنتشر في المركب وعلى البرّ، فخفنا إن قتلنا منهم أحداً أو طردناه أن يقتلونا؛ لفرط كثرتهم، والكثرة تغلب الشجاعة. وبقينا خائفين منهم أن ينهبوا رزقنا ومتاعنا، وهم أقبح الوحوش، وعليهم شعور مثل لبد الأسود، ورؤيتهم تفزع، ولا يفهَم لهم أحد كلاماً، ولا خبراً، وهم مستوحشون من الناس، صفر العيون وسود الوجوه صغار الخلقة، طول كلّ واحد منهم أربعة أشبار، وقد طلعوا على حبال المرساة وقطَّعوها بأسنانهم، وقطَّعوا جميع حبال المركب من كلّ جانب، فمال المركب من الريح، ورسَت على جبلهم، وصارت المركب في برِّهم، وقبضوا على جميع التجّار والركّاب، وطلعوا إلى الجزيرة، وأخذوا المركب بجميع ما كان فيها وراحوا بها. فبينما نحن في تلك الجزيرة، نأكل من أثمارها وبقولها وفواكهها ونشرب من الأنهار التي فيها، إذ لاح لنا بيت عامر في وسط تلك الجزيرة فقصدناه، ومشينا إليه فإذا هو قصر مشيَّد الأركان عالي الأسوار، له باب بدرفتين، مفتوح، وهو من خشب الأبانوس، فدخلنا باب ذلك القصر، فوجدنا له حظيراً واسعاً مثل الحوش الواسع الكبير، وفي دائره أبواب كثيرة، وفي صدره مصطبة عالية كبيرة، وفيها

أواني طبيخ معلَّقة على الكوانين، وحواليها عظام كثيرة، ولم نرَ فيها أحد، فتعجَّبنا من ذلك غاية العجب، وجلسنا في حضير ذلك القصر قليلاً، ثم بعد ذلك نمنا، ولم نزل نائمين من ضحوة النهار إلى غروب الشمس، وإذ بالأرض قد ارتجَّت من تحتنا وسمعنا دوياً من الجوّ، وقد نزل علينا من أعلى القصر شخص عظيم الخلقة في صفة إنسان، وهو أسود اللون طويل القامة كأنه نخلة عظيمة، وله عينان كأنهما شعلتان من نار، وله أنياب مثل أنياب الخنازير، وله فم عظيم الخلقة مثل البئر، وله مشافر مثل مشافر الجمل مرخيّة على صدره، وله أذنان مثل الحرامين مرخيَّتان على أكتافه، وأظافر يديه مثل مخالب السبع، فلمّا نظرناه على هذه الحالة غبنا عن وجودنا، وقَويَ خوفنا، واشتدَّ فزعنا، وصرنا مثل الموتى من شدّة الخوف والجزع والفزع.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (534)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري ورفقته لمّا رأوا هذا الشخص الهائل الصورة، حصل لهم غاية الخوف والفزع، فلمّا نزل على الأرض جلس قليلاً على المصطبة، ثم إنه قام وجاء عندنا، ثم قبض على يدي من بين أصحابي التجّار، ورفعني بيده عن الأرض، وحبسني وقلّبني فصرت في يده مثل اللقمة الصغيرة، وصار يحبسني مثل ما يحبس الجزّار ذبيحة الغنم، فوجدني ضعيفاً من كثرة القهر هزيلاً من كثرة التعب والسفر، وليس فيَّ شيء من اللحم فأطلقني من يده، وأخذ واحداً غيري من رفاقي وقلَّبه كما قلَّبني، وحبسه كما حبسني، ثم أطلقه. ولم يزل يحبسنا ويقلِّبنا، واحداً بعد واحد، إلى أن وصل إلى ريِّس المركب الذي كنّا فيه، وكان رجلاً سميناً غليظاً عريض الأكتاف صاحب قوّة وشدّة، فأعجبه وقبض عليه مثل ما يقبض الجزّار على ذبيحته، ورماه على الأرض، ووضع رجله على رقبته وجاء بسيخ طويل، فأدخله في حلقه حتى أخرجه من دبره، وأوقد ناراً شديدة وركَّب عليها ذلك السيخ المشكوك فيه الريِّس، ولم يزل يقلبه على الجمر حتى استوى لحمه،

وأطلعـه مـن النـار وحطّـه قدّامـه، وفسـخه كـما يفسـخ الرجـل الفرخة. وصـار يقطّـع لحمه بأظافره، ويـأكل منه. ولم يزل على هـذه الحالة حتى أكل لحمـه، ونهـش عظمـه، فلـم يبـقِ منه شـيئاً، ورمى باقـي العظام في جنـب القـصر. ثـم إنـه جلـس قليـلاً، وانطـرح ونـام عـلى تلـك المصطبـة وصـار يشـخر مثل شـخير الخـروف أو البهيمـة المذبوحة، ولم يـزل نائماً إلى الصبـاح، ثـم قـام وخرج إلى حال سـبيله. فلـمّا تحقّقنا بعـده تحدّثنا معـاً، وبكينـا عـلى أرواحنـا وقلنـا: ليتنـا غرقنـا في البحـر، وأكلتنـا القرود خـير من شـوي الإنسـان عـلى الجمر. واللـه، إن هذا المـوت رديء، ولكن مـا شـاء اللـه كان، ولا حـول ولا قـوّة إلّا باللـه العـليّ العظيـم. لقـد كدنا نمـوت كمـداً، ولم يـدرِ بنـا أحـد، ومـا بقـي لنـا نجـاة من هـذا المـكان. ثم إننـا قمنـا وخرجنـا إلى الجزيـرة لننظـر لنـا مكانـاً نختفـي فيـه أو نهـرب، وقـد هـان علينـا أن نمـوت ولا يُشـوى لحمنـا بالنـار، فلـم نجـد مكانـاً نختفـي فيـه، وقـد أدركنـا المسـاء فعدنـا إلى القـصر مـن شـدّة خوفنـا. جلسـنا قليـلاً، وإذا بـالأرض قد ارتجفـت من تحتنا، وأقبل ذلك الشـخص الأسـوَد، وجـاء عندنـا، وصـار يقلّبنا واحـداً بعد الآخر مثل المـرّة الأولى، ويحبسـنا حتـى أعجبـه واحـد، فقبـض عليـه وفعـل بـه مثـل مـا فعـل بالريّـس في أوّل يـوم، فشـواه وأكلـه عـلى تلـك المصطبة، ولم يـزل نائماً في تلـك الليلـة وهـو يشـخر مثـل الذبيحـة، فلـمّا طلـع النهـار قـام وراح إلى حـال سـبيله، وتركنـا عـلى جـري عادتـه، فاجتمعنـا، وتحدّثنـا وقلنـا: واللـه، لأن نلقـي أنفسـنا في البحر ونمـوت غرقاً خير مـن أن نموت حرقاً؛ لأن هـذه قتلـة شـنيعة. فقال واحد منّا: اسـمعوا كلامي، علينـا أن نحتال عليـه ونقتلـه، فنرتـاح مـن همّـه، ونريح المسـلمين مـن عدوانـه وظلمه. فقلـت لهـم: اسـمعوا، يـا إخـواني: إن كان لابـدّ من قتلـه فإننا نحـوّل هذا الخشـب، وننقـل شـيئاً مـن هـذا الحطـب، ونعمـل لنا فلـكاً مثـل المركب وبعـد ذلـك، نحتـال في قتلـه، وننزل في الفلـك، ونروح في البحـر إلى أيّ محـلّ يريـده اللـه. وإننـا نقعـد في هـذا المـكان حتـى يمـرّ علينـا مركـب، فننـزل فيـه، وإن لم نقـدر عـلى قتله ننزل ونـروح في البحر ولـو كنّا نغرق نرتـاح مـن شـيّنا عـلى النـار، ومـن الذبـح، فـإن سـلمنا سـلمنا، وإن غرقنا

متنا شـهداء. فقالوا جميعاً: والله، هذا رأي سـديد وفعل رشـيد. واتَّفقنا علـى هـذا الأمـر، وشرعنـا في فعلـه، فنقلنا الأخشـاب إلى خـارج القصر، وصنعنـا فلـكاً وربطنـاه علـى جانـب البحـر، ونزَّلنـا فيـه شـيئاً مـن الـزاد، ثـم عدنـا إلى القـصر. فلـمّا كان وقـت المسـاء، إذا بـالأرض قـد ارتجفـت بنـا ودخـل علينـا الأسـوَد، وكأنه الكلـب العقور، ثـم قلَّبنا وحبسـنا واحداً بعـد واحـد، ثـم أخـذ واحـداً وفعـل به مثـل ما فعـل بسـابقَيْه.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (535)، قالـت: بلغنـي- أيُّهـا الملك السـعيد- أن السـندباد البحـري قـال إن الأسـود أخذ واحداً منّا، وفعل به مثل ما فعل بسـابقَيْه، وأكلـه ثـم نام علـى المصطبة، وصار شـخيره مثـل الرعد، فنهضنـا وقمنا وأخذنـا سـيخين مـن حديـد مـن الأسـياخ المنصوبـة، ووضعناهـما في النـار القويّـة حتـى احمـرّا وصـارا مثـل الجمـر، وقبضنـا عليهـما قبضـاً شـديداً وجئنـا بهـما إلى ذلـك الأسـود وهـو نائـم يشـخر، ووضعناهما في عينيـه واتكأنـا عليهـما جميعـاً بقوَّتنا، وعزمنـا فأدخلناهـما في عينيه وهو نائـم، فانطمسـتا وصـاح صيحـة عظيمـة، فارتعبـت قلوبنـا منـه، ثـم قام مـن فـوق تلـك المصطبـة بعزمـه، وصـار يفتِّـش علينـا، ونحن نهـرب منه يمينـاً وشـمالاً، فلـم ينظرنـا وقد عَمِي بـصره، فخفنا منه مخافة شـديدة، وأيقنّـا في تلـك السـاعة بالهـلاك، ويئسـنا من النجـاة. فعنـد ذلك، قصد البـاب وهـو يحسِّـس، وخـرج منـه وهـو يصيـح، ونحـن في غايـة الرعـب منـه، وإذا بـالأرض ترتـجّ مـن تحتنـا مـن شـدّة صوتـه، فلـمّا خـرج مـن القـصر راح إلى حـال سـبيله، وهـو يـدور علينـا، ثـم إنـه رجـع ومعـه أنثى أكـبر منـه، وأوحـش منـه خلقـةً، فلـمّا رأينـاه والـذي معـه أفظـع حالـة منـه خفنـا غايـة الخوف، فلـمّا رأونـا أسرعنا ونهضنـا ففككنـا الفلك الذي صنعنـاه، ونزلنـا فيـه ودفعنـاه في البحـر، وكان مـع كلّ واحـد منهـم صخـرة عظيمـة، وصـارا يرجماننـا بهـا إلى أن مـات أكثرنـا مـن الرجـم، وبقـي منّـا ثلاثـة أشـخاص: أنـا واثنان.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (536)، قالـت: بلغنـي- أيُّهـا الملك السـعيد- أن السـندباد البحـري لمّـا نـزل في الفلـك هـو وأصحابـه، صـار يرجمانهـم، الأسـود ورفيقتـه، فـماتَ أكثرهـم، ولم يبـق منهـم إلّا ثلاثـة أشـخاص، فطلع بهم الفلـك إلى جزيـرة. قـال: فمشـينا إلى آخـر النهـار، فدخـل علينـا الليـل ونحـن عـلى هـذه الحالـة فنمنا قليـلاً، واسـتيقظنا مـن نومنـا وإذا بثعبان عظيـم الخلقـة كبـير الجثّـة واسـع الجـوف قـد أحـاط بنـا، وقصـد واحـداً فبلعـه إلى أكتافـه، ثـم بلـع باقيـه، فسـمعنا أضلاعـه تتكـسَّر في بطنـه، وراح في حـال سـبيله، فتعجَّبنـا مـن ذلـك غايـة العجـب، وحزنّـا عـلى رفيقنـا، وصرنـا في غايـة الخـوف عـلى أنفسـنا، وقلنـا: واللـه، هـذا أمـر عجيـب! كلّ موتـة أشـنع من السـابقة. وكنّا فرحنا بسـلامتنا من الأسـود، فـما تمَّـت الفرحـة، ولا حـول ولا قـوّة إلّا باللـه. واللـه، قـد نجونـا مـن الأسـوَد ومـن الغـرق، فكيـف تكـون نجاتنا من هـذه الآفة المشـؤومة؟ ثم إننـا قمنا فمشـينا في الجزيـرة، وأكلنا من ثمرها وشربنـا من أنهارها، ولم نـزل فيهـا إلى وقـت المسـاء، فوجدنـا صخـرة عظيمـة عاليـة، فطلعناهـا ونمنـا فوقهـا، وقـد طلعـت أنـا عـلى فروعهـا. فلـمّا دخـل الليـل، وأظلـم الوقـت، جـاء الثعبـان وتلفَّـت يمينـاً وشـمالاً، ثـم إنـه قصد تلك الشـجرة التـي نحـن عليهـا ومـشى حتـى وصـل إلى رفيقـي وبلعـه حتـى أكتافـه، والتفـت بـه عـلى الشـجرة، فسـمعت عظمـه يتكـسَّر في بطنـه، ثـم بلعـه بتمامـه، وأنـا أنظـر بعينـيَّ، ثـم إن الثعبـان نـزل مـن فـوق تلـك الشـجرة وراح إلى حـال سـبيله. ولم أزل عـلى تلـك الشـجرة في تلـك الليلـة، فلـمّا طلـع النهـار وبـان النـور ونزلـت مـن فـوق الشـجرة وأنـا مثـل الميِّـت مـن كـثرة الخـوف والفـزع، أردت أن ألقـي بنفسـي في البحـر وأسـتريح مـن الدنيـا، فلـم تهـن عـليَّ روحـي لأن الـروح عزيـزة، فربطت خشـبة عريضة عـلى أقدامـي بالعـرض، وربطـت واحـدة مثلهـا عـلى جنبـي الشـمال، ومثلهـا عـلى جنبـي اليمـين، ومثلهـا عـلى بطنـي، وربطـت واحـدة طويلة عريضـة مـن فـوق رأسي بالعـرض مثل التـي تحت أقدامـي، وصرت أنا في وسـط هـذا الخشـب، وهـو محتـاط بي مـن كلّ جانـب وقـد شـددت ذلـك شـدّاً وثيقـاً، وألقيـت نفـسي بالجميع عـلى الأرض، فصرت نائمـاً بين تلك

الأخشـاب وهـي محيطـة بي كالمقصـورة. فلـمّا أمـسى الليـل أقبـل ذلـك الثعبـان، عـلى جـري عادتـه، ونظـر إليَّ وقصـدني فلـم يقـدر أن يبلغنـي، وأنـا عـلى تلـك الحالـة والأخشـاب حـولي مـن كلّ جانـب، فـدار الثعبـان حـولي فلـم يسـتطع الوصـول إليَّ، وأنـا أنظـر بعينـيَّ وقـد صرت كالميِّـت مـن شـدّة الخـوف والفـزع، وصـار الثعبـان يبعـد عنـي ويعـود إليَّ، ولم يـزل عـلى هـذه الحالـة، وكلَّـما أراد الوصـول إليَّ ليبتلعنـي تمنعـه تلـك الأخشـاب المشـدودة عـليّ مـن كلّ جانـب. ولم يـزل كذلـك مـن غـروب الشـمس إلى أن طلـع الفجـر، وبـان النـور وأشرقـت الشـمس، فمـضى الثعبـان إلى حـال سـبيله، وهـو في غايـة مـن القهـر والغيـظ. عنـد ذلك، مـددت يـدي، وفككـت نفـسي من تلـك الأخشـاب وأنـا في حكـم الأموات مـن شـدّة ماقاسـيت مـن ذلـك الثعبـان، ثـم إني قمـت ومشـيت في الجزيـرة حتـى انتهيـت إلى آخرهـا، فلاحـت لي منـي التفاتـة إلى ناحيـة البحـر، فرأيـت مركبـاً عـلى بعد في وسـط اللجّـة، فأخذت فرعـاً كبيراً من شـجرة ولوَّحـت بـه إلى ناحيتهـم، وأنـا أصيـح عليهـم. فلـمّا رأوني قالـوا: لابـدَّ أننـا ننظـر مـا يكون هـذا، لعلّه إنسـان! ثم إنهـم قربوا مني وسـمعوا صياحـي، عليهـم فجـاؤوا إليَّ وأخذوني معهم في المركب، وسـألوني عن حـالي فأخبرتهـم بجميـع مـا جـرى لي، مـن أوَّلـه إلى آخـره، وماقاسـيته مـن الشـدائد، فتعجَّبـوا مـن ذلـك غايـة العجـب، ثـم إنهم ألبسـوني من عندهـم ثيابـاً، وسـتروا عـورتي. وبعـد ذلـك، قدَّمـوا لي شـيئاً مـن الـزاد حتـى اكتفيـت، وسـقوني ماء بـارداً عذبـاً فانتعش قلبـي، وارتاحـت نفسي وحصـل لي راحـة عظيمـة، وأحيـاني اللـه (تعـالى) بعـد مـوتي، فحمدتـه عـلى نعمـه الوافرة، وشـكرته، وقَوّيت همَّتـي بعدما كنـت أيقنت بالهلاك حتـى تخيَّـل لي أن جميـع مـا أنـا فيـه منـام. ولم نـزل سـائرين، وقد طاب لنـا الريـح بـإذن اللـه (تعـالى) إلى أن أشرفنا عـلى جزيرة يقال لهـا جزيرة (السـلاهطة) فأوقـف الريِّـس المركـب عليهـا.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (537)، قالـت: بلغنـي- أيُّهـا الملـك السـعيد- أن المركـب

الـذي نـزل فيـه السـندباد البحـري رسـت عـلى جزيـرة، فنـزل منـه جميع التجّـار، فالتفـت إليَّ صاحـب المركب وقال لي: اسـمع كلامـي. أنت رجل غريـب فقـير، وقـد أخبرتنـا أنك قاسـيت أهوالاً كثـيرة، ومـرادي أن أنفعك بـشيء يعينـك على الوصـول إلى بلادك وتبقى تدعـو لي، فقلت له: نعم، ولـك منـي الدعـاء. فقال: اعلم أنـه كان معنا رجل مسـافر ففقدناه، ولم نعلـم هـل هـو حـيّ أم مـات، ولم نسـمع عنـه خـبراً، ومـرادي أن أدفـع لـك حمولـة لتبيعهـا في هذه الجزيـرة وتحفظها، وأعطيك شـيئاً في نظير تعبـك وخدمتـك ومـا بقـي منهـا نأخـذه إلى أن تعـود إلى مدينـة بغـداد، فنسـأل عـن أهلـه وندفـع إليهـم بقيَّتهـا وثمـن مـا بيـع منهـا، فهـل لك أن تتسـلَّمها وتنـزل بهـا هـذه الجزيـرة، فتبيعها مثـل التجّار؟ فقلت: سـمعاً وطاعـة لـك، يـا سـيِّدي، ولـك الفضـل والجميل. دعـوت له وشـكرته على ذلـك، ثـم أمـر الحمّالـين والبحريـة بإخـراج تلـك البضائـع إلى الجزيـرة، وأن يسـلموها إليَّ، فقـال كاتـب المركـب: يـا ريِّـس، مـا هـذه الحمـول التـي أخرجهـا البحريـة والحمّالون؟ باسْـمِ مَـنْ من التجّـار أكتبها؟ فقال: اكتـب عليها اسـم السـندباد البحري الذي كان معنَا، وغـرق في الجزيرة، ولم يأتنـا عنـه خـبر، فنريد أن يبيعهـا هذا الغريب ونحمـل ثمنها ونعطيه شـيئاً منـه نظـير تعبه وبيعـه، والباقي نحمله معنا حتـى نرجع إلى مدينة بغـداد، فـإن وجدنـاه أعطينـاه إيّـاه، وإن لم نجـده ندفعـه إلى أهلـه في مدينـة بغـداد، فقـال الكاتـب: كلامك مليـح، ورأيك رجيح. فلمّا سـمعت كلام الريِّـس، وهـو يذكـر أن الحمـول باسـمي، قلت في نفـسي: والله، أنا السـندباد البحـري، وأنـا غرقـت في الجزيـرة مـع جملـة من غـرق، ثم إني تجلَّـدت وصـبرت إلى أن طلـع التجّـار مـن المركـب، واجتمعـوا يتحدَّثـون ويتذاكـرون في أمـور البيـع والـشراء. فتقدَّمـت إلى صاحـب المركـب، وقلـت لـه: يـا سـيِّدي، هـل تعـرف كيـف كان صاحـب الحمـول التـي سـلَّمتها إليَّ لأبيعهـا؟ فقـال لي: لا أعلـم لـه حـالاً، ولكنـه كان رجـلاً مـن مدينـة بغـداد، يقـال لـه السـندباد البحـري، وقد أرسـينا عـلى جزيرة من الجزائـر فغـرق منّـا فيهـا خلـق كثـير، وفُقِـد هو مـن جملتهـم، ولم نعلم لـه خـبراً إلى هـذا الوقـت. عند ذلـك، صرخـت صرخـة عظيمـة، وقلت له:

يا ريِّس السلامة، اعلم أني أنا السندباد البحري. أنا لم أغرق، ولكن لمّا أرسيت على الجزيرة وطلع التجّار والركّاب طلعت أنا مع جملة الناس، ومعي شيء آكله بجانب الجزيرة، ثم إني تلذَّذت بالجلوس في ذلك المكان، فأخذتني سِنَة من النوم، فنمت وغرقت في النوم، ثم إني قمت فلم أجد المركب، ولم أجد أحداً عندي. وهذا المال مالي، وهذه البضائع بضائعي، وجميع التجّار الذين يجلبون حجر الألماس رأوني وأنا في جبل الألماس، ويشهدون لي بأني أنا السندباد البحري، كما أني أخبرتهم بقصَّتي وما جرى لي معكم في المركب، وأخبرتهم بأنكم نسيتموني في الجزيرة نائماً، وقمت فلم أجد أحداً، وجرى لي ما جرى. فلمّا سمع التجّار والركّاب كلامي، اجتمعوا عليَّ، فمنهم من صدَّقني، ومنهم من كذَّبني. فبينما نحن كذلك، وإذا بتاجر من التجّار حين سمعني أذكر وادي الألماس نهض وتقدَّم عندي، وقال لهم: اسمعوا، يا جماعة، كلامي: إني لمّا كنت ذكرت لكم أعجب ما رأيت في أسفاري لمّا ألقينا الذبائح في وادي الألماس، وألقيت ذبيحتي معهم، على جري عادتي، طلع على ذبيحتي رجل متعلِّق بها، ولم تصدِّقوني بل كذَّبتموني. فقالوا له: نعم، حكيت لنا هذا الأمر، ولم نصدِّقك. فقال لهم: هذا هو التاجر الذي تعلَّق بذبيحتي، وقد أعطاني شيئاً من حجر الألماس الغالي الثمن الذي لا يوجد نظيره، وعوَّضني أكثر ما كان يطلع لي في ذبيحتي، وقد استصحبته معي إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة، وبعد ذلك توجَّه إلى بلاده وودَّعنا، ورجعنا إلى بلادنا، وهو هذا، وقد أعلمنا أن اسمه السندباد البحري، وأخبرنا بذهاب المركب وجلوسه في هذه الجزيرة. واعلموا أن هذا الرجل ما جاءنا هنا إلّا لتصدِّقوا كلامي ممّا قلته لكم، وهذه البضائع كلّها رزقه فإنه أخبر بها في وقت اجتماعه علينا، وقد ظهر صدقه في قوله. فلمّا سمع الريِّس كلام ذلك التاجر، قام على حيله، وجاء عندي وحقَّق فيَّ النظر ساعةً، وقال: ما علامة بضائعك؟ فقلت له: اعلم أن علامة بضائعي ما هو كذا وكذا، وقد أخبرته بأمر كان بيني وبينه، ولمّا نزلت معه المركب من البصرة، فتحقَّق أني أنا السندباد البحري، فعانقني

وسَلَّم علَيَّ، وهنأني بالسلامة، وقال لي: ياسيِّدي، إن قصَّتك عجيبة، وأمرك غريب، ولكن الحمد لله الذي جمع بيننا وبينك، وردَّ بضائعك ومالك عليك.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (538)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري لما تبينَّ للريِّس والتجّار أنه هو عينه، وقال له الريِّس: «الحمد لله الذي ردَّ بضائعك ومالك عليك»، قال: فعند ذلك تصرَّفت في بضائعي بمعرفتي، وربحت بضائعي في تلك السفرة شيئاً كثيراً، وفرحت بذلك فرحاً عظيماً، هَنِئت بالسلامة، وعاد مالي إليّ. ولم نزل نبيع ونشتري في الجزائر إلى أن وصلنا إلى بلاد السندباد، وبعنا فيها واشترينا، ورأيت في ذلك البحر شيئاً كثيراً من العجائب والغرائب لا تُعَدّ ولا تُحصى، ومن جملة ما رأيت، في ذلك البحر، سمكة على صفة البقرة، وشيئاً على صفة الحمير، ورأيت طيراً يخرج من صدف البحر ويبيض ويفرِّخ على وجه الماء ولا يطلع من البحر على وجه الأرض، أبداً. وبعد ذلك، لم نزل مسافرين، بإذن الله (تعالى)، وقد طاب لنا الريح والسفر إلى أن وصلنا إلى البصرة، وقد أقمت فيها أيّاماً قلائل، وبعد ذلك جئت إلى مدينة بغداد، فتوجَّهت إلى حارتي ودخلت بيتي، وسلَّمت على أهلي وأصحابي وأصدقائي، وقد فرحت بسلامتي وعودتي إلى بلادي وأهلي ومدينتي ودياري، وتصدَّقت ووهبت، وكَسَوْت الأرامل والأيتام. وجمعت أصحابي وأحبابي، ولم أزل على هذه الحالة في أكل وشرب ولهو وطرب، وأنا آكل وأشرب طيِّباً، وأعاشر وأخالط، وقد نسيت جميع ما جرى لي، وما قاسيت من الشدائد والأهوال، وكسبت شيئاً في هذه السفرة لا يُعَدّ ولا يُحصى، وهذا أعجب ما رأيته في هذه السفرة. وفي غد، إن شاء الله (تعالى)، تجيء إليّ، فأحكي لك حكاية السفرة الرابعة، فإنها أعجب من هذه السفرات. ثم إن السندباد البحري أمر بأن يدفعوا إليه مئة مثقال من الذهب، على جري عادته، وأمر بمدّ السماط، فمدّوه وتعشّى الجماعة، وهم يتعجّبون من تلك

الحكايـة، وما جـرى فيهـا. ثـم إنهـم، بعـد العشـاء، انصرفـوا إلى حـال سـبيلهم، وقـد أخـذ السـندباد الحـمَّال مـا أُمِـر لـه بـه، مـن الذهـب، وانـصرف إلى حـال سـبيله، وهـو متعجِّـب مـمَّا سـمعه مـن السـندباد البحـري، وبـات في بيتـه. ولمـّا أصبـح الصبـاح، وأضـاء بنـوره ولاح، قـام السـندباد الحـمّال وصـلَّى الصبـح وتمـشَّى إلى السـندباد البحـري، وقـد دخـل عليـه وتلقَّـاه بالفـرح والانشراح، وأجلسـه عنـده إلى أن حضر بقيّة أصحابـه، وقدَّمـوا الطعـام، فأكلـوا وشربوا وانبسـطوا، فبدأهـم بالكلام، وحـكى لهـم الحكايـة الرابعة.



الحكاية الرابعة

(السفرة الرابعة)

(قال) السندباد البحري: اعلموا، يا أخواني، أني لمّا عدت إلى مدينة بغداد واجتمعت على أصحابي وأحبابي، وصرت في أعظم ما يكون من الهناء والسرور والراحة، وقد نسيت ما كنت فيه لكثرة الفوائد، وغرقت في اللهو والطرب ومجالسة الأحباب والأصحاب، وأنا في ألذّ ما يكون من العيش، حدَّثتني نفسي الخبيثة بالسفر إلى بلاد الناس، وقد اشتقت إلى مصاحبة الأجناس والبيع والمكاسب، فهممت في ذلك الأمر، واشتريت بضاعة نفيسة تناسب البحر، وحزمت حمولاً كثيرة زيادة عن العادة، ثم سافرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة، ونزَّلت حمولتي في المركب واصطحبت بجماعة من أكابر البصرة، وقد توجَّهنا إلى السفر، فسافر بنا المركب، على بركة الله (تعالى)، في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج، وطاب لنا السفر. ولم نزل على هذه الحالة مدّة ليالٍ وأيّام، من جزيرة

إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر، إلى أن خرجت علينا ريح مختلفة، يوماً من الأيّام، فرمى الريِّس مراسي المركب، وأوقفها في وسط البحر؛ خوفاً عليها من الغرق في وسط البحر. فبينما نحن على هذه الحالة ندعو ونتضرَّع إلى الله (تعالى)، إذ خرج علينا عاصف ريح شديد مزَّق القلع وقطَّعه قطعاً، وغرق الناس وجميع حمولهم وما معهم من المتاع والأموال، وغرقت أنا بجملة مَنْ غرق، وعمْتُ في البحر نصف نهار، وقد تخلَّيت عن نفسي فيسَّر الله (تعالى) لي قطعة لوح خشب من ألواح المركب، فركبتها أنا وجماعة من التجّار.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (539)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري، بعد أن غرقت المركب، وطلع على لوح خشب هو وجماعة من التجّار، قال: اجتمعنا معاً، ولم نزل راكبين على ذلك اللوح، نرفس بأرجلنا في البحر والأمواج والريح تساعدنا، وقد مكثنا على هذه الحالة يوماً وليلة. فلمّا كان ثاني يوم ضحوة نهار، ثار علينا ريح، وهاج البحر وقوي الموج والريح، فرمانا الماء على جزيرة ونحن مثل الموتى من شدّة السهر والتعب والبرد والجوع والخوف والعطش، وقد مشينا في جوانب تلك الجزيرة فوجدنا فيها نباتاً كثيراً، فأكلنا منه شيئاً يسدّ رمقنا ويقيتنا. وبتنا تلك الليلة على جانب الجزيرة، فلمّا أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح، قمنا ومشينا في الجزيرة يميناً وشمالاً، فلاحَ لنا عمارة على بعد، فسرنا في تلك الجزيرة قاصدين تلك العمارة التي رأيناها من بُعد، ولم نزل سائرين إلى أن وقفنا على بابها. فبينما نحن واقفون هناك، خرج علينا، من ذلك الباب، جماعة عراة ولم يكلِّمونا، وقد قبضوا علينا وأخذونا عند ملكهم، فأمرنا بالجلوس فجلسنا، وقد أحضروا لنا طعاماً لم نعرفه، ولم نرَ مثله في حياتنا، فلم تقبله نفسي، ولم آكل منه شيئاً دون رفقتي، وكانت قلّة أكلي منه لطفاً من الله (تعالى)، حتى عشت إلى الآن. فلما أكل أصحابي من ذلك الطعام ذُهلت عقولهم، وصاروا يأكلون مثل المجانين وتغيَّرت أحوالهم، وبعد ذلك أحضروا لهم دهن النارجيل

فسقوهم منه ودهنوهم منه، فلمّا شرب أصحابي من ذلك الدهن زاغت أعينهم من وجوههم، وصاروا يأكلون من ذلك الطعام بخلاف أكلهم المعتاد، وعند ذلك احترت في أمرهم، وصرت أتأسَّف عليهم، وقد صار عندي هَمّ عظيم من شدّة الخوف على نفسي من هؤلاء العرايا، وقد تأمَّلتهم فإذا هم قوم مجوس، وملك مدينتهم غول، وكلّ مَنْ وصل إلى بلادهم أو رأوه في الوادي أو الطرقات يجيئون به إلى ملكهم، ويطعمونه من ذلك الطعام، ويدهنونه بذلك الدهن فيتّسع جوفه لأجل أن يأكل كثيراً ويذهل عقله وتنطمس فكرته ويصير مثل الإبل، فيزيدون له الأكل والشرب من ذلك الطعام والدهن حتى يسمن ويغلظ، فيذبحونه ويشوونه ويطعمونه لملكهم. وأمّا أصحاب الملك فيأكلون من لحم الإنسان بلا شوي ولا طبخ. فلما نظرت منهم ذلك الأمر صرت في غاية الكرب على نفسي وعلى أصحابي، وقد صار أصحابي من فرط ما دهشت عقولهم لا يعلمون ما يفعل بهم وقد سلَّموهم إلى شخص، فصار يأخذهم كلّ يوم ويخرج يرعاهم في تلك الجزيرة مثل البهائم، وأما أنا فقد صرت، من شدّة الخوف والجوع، ضعيفاً سقيم الجسم، وصار لحمي يابساً على عظمي. فلمّا رأوني على هذه الحالة تركوني، ونسوني، ولم يتذكَّرني منهم أحد، ولا خطرت لهم في بال، إلى أن تحيَّلت يوماً من الأيَّام وخرجت من ذلك المكان، فمشيت في تلك الجزيرة، ولم أزل سائراً حتى طلع النهار وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح، وطلعت الشمس على رؤوس الروابي والبطاح، وقد تعبت وجعت وعطشت فصرت آكل من الحشيش والنبات الذي في الجزيرة، ولم أزل آكل من ذلك النبات حتى شبعت، وانسدَّ رمقي. بعد ذلك، قمت ومشيت في الجزيرة، ولم أزل على هذه الحالة طول النهار والليل، وكلَّما أجوع آكل من النبات، ولم أزل على هذه الحالة مدّة سبعة أيّام بلياليها. فلمّا كانت صبيحة اليوم الثامن، لاحت مني نظرة فرأيت شبحاً من بعيد، فسرت إليه، ولم أزل سائراً إلى أن حصَّلته بعد غروب الشمس فحقَّقت النظر فيه وأنا بعيد عنه، وقلبي خائف من الذي قاسيته أوَّلاً وثانياً، فإذا هم جماعة يجمعون حَبّ الفلفل، فلمّا قربت منهم ونظروني تسارعوا إليَّ

وجاؤوا عندي، وقد أحاطوا بي من كلّ جانب وقالوا لي: من أنت؟ ومن أين أقبلت؟ فقلت لهم: اعلموا- يا جماعة- أني رجل غريب مسكين، ثم أخبرتهم بجميع ما كان من أمري، وما جرى لي من الأهوال والشدائد وما قاسيته.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (540)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري لما رأى الجماعة الذين يجمعون حَبّ الفلفل في الجزيرة، وسألوه عن حاله، حكى لهم جميع ما جرى له، وما قاساه من الشدائد، فقالوا: والله، هذا أمر عجيب! ولكن، كيف خلاصك من السودان؟ وكيف مرورك عليهم في هذه الجزيرة وهم خلق كثيرون ويأكلون الناس، ولا يسلم منهم أحد، ولا يقدر أن يجوز عليهم أحد؟ فأخبرتهم بما جرى لي معهم، وكيف أخذوا أصحابي وأطعموهم الطعام، ولم آكل منه فهنَّأوني بالسلامة، وصاروا يتعجَّبون ممّا جرى لي، ثم أجلسوني عندهم حتى فرغوا من شغلهم وأتوني بشيء من الطعام، فأكلت منه، وكنت جائعاً، وارتحت عندهم ساعة من الزمان. وبعد ذلك، أخذوني ونزلوا بي في مركب، وجاؤوا إلى جزيرتهم ومساكنهم وقد عرضوني على ملكهم، فسلَّمت عليه ورحَّب بي وأكرمني وسألني عن حالي، فأخبرته بما كان من أمري، وما جرى لي وما اتَّفق لي من يوم خروجي من مدينة بغداد إلى حين وصلت إليه، فتعجَّب ملكهم من قصَّتي غاية العجب، هو ومن كان حاضراً في مجلسه، ثم إنه أمرني بالجلوس عنده فجلست، وأمر بإحضار الطعام فأحضروه فأكلت منه على قدر كفايتي، وغسلت يدي، وشكرت فضل الله (تعالى) وحمدته وأثنيت عليه. ثم إني قمت من عند ملكهم، وتفرَّجت في مدينته، فإذا هي مدينة عامرة كثيرة الأهل والمال، كثيرة الطعام والأسواق والبضائع والبائعين والمشترين، ففرحت بوصولي إلى تلك المدينة، وارتاح خاطري، واستأنست بأهلها، وصرت عندهم وعند ملكهم معزَّزاً مكرَّماً زيادة عن أهل مملكته من عظماء مدينته، ورأيت جميع أكابرها وأصاغرها يركبون الخيل الجياد الملاح

مـن غـير سروج، فتعجَّبـت مـن ذلـك، ثـم إني قلـت للملـك: لأيّ شيء- يـا مـولاي- لم تركـب عـلى سرج؟؛ إن فيـه راحة للراكب وزيادة قـوّة، فقال لي: كيـف يكـون الـسرج؟ هـذا شيء عمرنـا مـا رأينـاه، ولا ركبنـا عليهـا، فقلـت لـه: هـل لـك أن تـأذن لي أن أصنـع لـك سرجـاً تركـب عليـه وتنظـر حظّـه؟ فقـال لي: افعـل. فقلت له: أحضر لي شـيئاً من الخشـب، فأمـر لي بإحضار جميـع مـا طلبتـه. عنـد ذلـك، طلبت نجّاراً شـاطراً، وجلسـت عنـده وعلّمته صنعـة الـسرج، وكيـف يعمله، ثـم إني أخذت صوفـاً ونقشـته وصنعت منه لبـداً، وأحـضرت جلـداً وألبسـته الـسرج وصقلته ثم ركَّبت سـيوره وشـددت شريحتـه، وبعـد ذلـك أحـضرت الحـدّاد ووصفـت لـه كيفيـة الـركاب، فـدقَّ ركابـاً عظيـماً وبرَدْتُـه وبيَّضتـه بالقصديـر، ثـم إني شـددت لـه أهدابـاً مـن الحريـر، وبعـد ذلـك قمـت وجئت بحصان مـن خيار خيول الملك وشـددت عليـه الـسرج، وعلَّقـت فيه الـركاب، وألجمتـه بلجام، ثم قدّمتـه إلى الملك فأعجبـه ولاق بخاطـره، وشـكرني، ثـم ركب عليـه، قد حصل له فرح شـديد بذلـك الـسرج، وأعطاني شـيئاً كثيراً في نظـير عملي له. فلـمّا نظرني وزيره، وقـد عملـت ذلـك الـسرج، طلـب مني واحـداً مثله فعملـت له سرجـاً مثله، وقـد صـار أكابـر الدولـة وأصحـاب المناصـب يطلبـون مني الـسروج فأفعل لهـم، وعلَّمـت النجّـار صنعـة الـسرج، والحـدَّاد صنعـة الـركاب، وصرنـا نعمـل الـسروج والركابـات ونبيعهـا للأكابـر والمخاديـم، وقـد جمعـت من ذلـك مـالاً كثـيراً، وصـار لي عندهـم مقـام كبـير وأحبّـوني محبّـة زائـدة، وبقيـت صاحـب منزلـة عالية عند الملـك وجماعته وعند أكابـر البلد وأرباب الدولـة، إلى أن جلسـت يومـاً مـن الأيَّـام عنـد الملـك، وأنا في غايـة السرور والعـزّ. فبينـما أنـا جالس قـال لي الملك: اعلـم- يا هذا- أنـك صرت معزوزاً مكرَّمـاً عندنـا، وواحـداً منّـا، ولا نقدر عـلى مفارقتك، ولا نسـتطيع خروجك مـن مدينتنـا. ومقصـودي منـك شيء تطيعنـي فيه، ولا تردّ قـولي، فقلت له ومـا الـذي تريـد منـي، أيُّهـا الملـك؛ فـإني لا أردّ قولـك، لأنـه صار لـك فضل وجميـل وإحسـان عـليَّ، والحمـد للـه أنـا صرت من بعـض خدامـك؟ فقال: أريـد أن أزوِّجـك عندنـا بزوجـة حسـنة مليحـة ظريفة صاحبة مـال وجمال، وتصـير مسـتوطناً عندنـا، وأُسـكنك عنـدي في قصري، فـلا تخالفنـي ولا تردّ

كلامي. فلمّا سمعت كلام الملك استحييت منه، وسكتّ، ولم أردّ عليه جواباً من كثرة الحياء، فقال لي: لِمَ لا تردّ عليَّ، يا ولدي! فقلت: يا سيِّدي، الأمر أمرك يا ملك الزمان. فأرسل من وقته وساعته فأحضر القاضي والشهود وزوَّجني، في ذلك الوقت، بامرأة شريفة القدر عالية النسب كثيرة المال والنوال عظيمة الأصل بديعة الجمال والحسن صاحبة أماكن وأملاك وعقارات.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (541)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري بعد أن زوَّجه الملك، وعقد له على امرأة عظيمة، قال: ثم إنه أعطاني بيتاً عظيماً مليحاً بمفرده، وأعطاني خُدّاماً وحشماً، ورتَّب له جرايات وجوامك، وصرت في غاية الراحة والبسط والانشراح، ونسيت جميع ما حصل لي من التعب والمشقّة والشدّة، وقلت في نفسي: إذا سافرت إلى بلادي آخذها معي، وكلّ شيء مقدَّر على الإنسان لابدَّ منه، ولم يعلم بما يجري له، وقد أحببتها وأحبَّتني محبّة عظيمة، ووقع الوفاق بيني وبينها، وقد أقمنا في ألذّ عيش، وأرغد مورد، ولم نزل على هذه الحالة مدّة من الزمن إلى أفقد الله (تعالى) زوجة جاري، وكان صاحباً لي، فدخلت إليه لأعزّيه في زوجته، فرأيته في أسوأ حال وهو مهموم تعبان السرّ والخاطر، فعند ذلك عزَّيته وسلّيته، وقلت له: لا تحزن على زوجتك. الله يعوضك خيراً منها، ويكون عمرك طويلاً، إن شاء الله (تعالى)، فبكى بكاءً شديداً وقال: يا صاحبي، كيف أتزوَّج بغيرها، أو كيف يعوِّضني الله خيراً منها، وأنا بقي من عمري يوم واحد؟ فقلت له: يا أخي، ارجع إلى عقلك، ولا تبشِّر على روحك بالموت، فإنك طيِّب بخير وعافية. فقال لي: يا صاحبي، وحياتك، إنك في غد سوف تَعْدمني، وما بقيت عمرك تنظرني، فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال لي: في هذا النهار يدفنون زوجتي، ويدفنوني معها في القبر، فإنها عادتنا في بلادنا: إذا ماتت المرأة يدفنون معها زوجها بالحياة، وإن مات الرجل يدفنون معه زوجته بالحياة، حتى لا يتلذَّذ أحد منهم بالحياة، بعد

رفيقه، فقلت له: بالله، إن هذه العادة رديئة جداً، وما يقدر عليها أحد! فبينما نحن في ذلك الحديث، إذا بغالب أهل المدينة قد حضروا، وصاروا يعزّون صاحبي في زوجته وفي نفسه، وقد شرعوا في تجهيزها على جري عادتهم، فأحضروا تابوتاً وحملوا فيه المرأة وذلك الرجل معهم، وخرجوا بهما إلى خارج المدينة، وأتوا إلى مكان في جانب الجبل على البحر، وتقدَّموا إلى مكان ورفعوا عنه حجراً كبيراً، فبانَ من تحت ذلك الحجر خرزة من الحجر مثل خرزة البئر، فرموا تلك المرأة فيها، وإذا هو جبّ كبير تحت الجبل ثم إنهم جاؤوا بذلك الرجل، وربطوه تحت صدره في سلبة، وأنزلوه في ذلك الجبّ، وأنزلوا عنده كوز ماء عذب كبير وسبعة أرغفة من الزاد، ولمّا أنزلوه فكَّ نفسه من السلبة فسحبوا السلبة، وغطَّوا فم البئر بذلك الحجر الكبير مثل ما كان، وانصرفوا إلى حال سبيلهم، وتركوا صاحبي عند زوجته في الجبّ! فقلت في نفسي: والله، إن هذا الموت أصعب من الموت الأوّل. ثم إني جئت عند ملكهم وقلت له: يا سيِّدي، كيف تدفنون الحيّ مع الميِّت في بلادكم؟ فقال لي: اعلم أن هذه عادتنا في بلادنا، إذا مات الرجل ندفن معه زوجته، وإذا ماتت المرأة ندفن معها زوجها بالحياة، حتى لا نفرِّق بينهما في الحياة ولا في الممات، وهذه العادة عن أجدادنا. فقلت: يا ملك الزمان، وكذا الرجل الغريب مثلي؛ إذا ماتت زوجته عندكم تفعلون به مثل ما فعلتم بهذا؟ فقال لي: نعم، ندفنه معها ونفعل به كما رأيت. فلمّا سمعت ذلك الكلام منه انشقَّت مرارتي من شدّة الغمّ والحزن على نفسي، وذهل عقلي، وصرت خائفاً من أن تموت زوجتي قبلي، فيدفنوني معها وأنا بالحياة، ثم إني سلَّيت نفسي لعلّي أموت أنا قبلها، ولا يعلم أحد السابق من اللاحق. وصرت أتلاهى في بعض الأمور. فما مضت مدّة يسيرة بعد ذلك، حتى مرضت زوجتي وقد مكثت أيّاماً قلائل، ثم ماتت. فاجتمع غالب الناس يعزّونني، ويعزّون أهلها فيها، وقد جاءني الملك يعزِّيني فيها على جري عادتهم، ثم إنهم جاؤوا لها بغاسلة فغسَّلوها وألبسوها أفخر ما عندها من الثياب والمصاغ والقلائد والجواهر من المعادن. فلمّا ألبسوا زوجتي وحطّوها في التابوت وحملوها وراحوا بها

إلى ذلـك الجبـل، ورفعـوا الحجر عن فم الجـبّ، وألقوها فيـه، أقبل جميع أصحـابي وأهـل زوجتـي يودِّعوننـي في روحـي، وأنـا أصيـح بينهـم: أنـا رجـل غريـب، وليـس لي صـبر على عادتكم، وهم لا يسـمعون قـولي، ولا يلتفتون إلى كلامـي. ثـم إنهـم أمسـكوني وربطـوني بالغصـب وربطـوا معـي سـبعة أقـراص مـن الخبـز وكوز ماء عـذب، على جـري عادتهم، وأنزلـوني في ذلك البـئر فـإذا هـو مغـارة كبـيرة تحـت ذلـك الجبـل، وقالـوا لي: فـكّ نفسـك مـن الحبـال، فلـم أرضَ أن أفـكّ نفـسي، فرمـوا علـيَّ الحبـال، ثـم غطّوا فم المغـارة بذلـك الحجـر الكبـير الـذي كان عليهـا، وراحوا إلى حال سـبيلهم.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (542)، قالـت: بلغنـي- أيُّهـا الملـك السـعيد- أن السـندباد البحـري لمّـا حطّوه في المغارة مـع زوجته التي ماتـت، وردّوا باب المغارة، وراحـوا إلى حـال سـبيلهم، قـال: وأمّا أنا فـإني رأيت في تلك المغـارة أمواتاً كثيريـن، وكانـت رائحتهـا منتنة كريهـة، فلمت نفسي على مـا فعلته وقلت: واللـه، إني أسـتحقّ جميـع مـا يجري لي، وما يقع لي. ثـم إني صرت لا أعرف الليـل مـن النهـار، وصرت أتقـوَّت باليسـير، ولا آكل حتـى يـكاد أن يقطعني الجـوع، ولا أشرب حتـى يشـتدّ بي العطـش، وأنـا خائـف أن يفـرغ مـا عندي مـن الـزاد والماء، وقلت: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم.. أيّ شيء بـلاني بالـزواج في هـذه المدينة؟ وكلّـما قلت إني خرجت مـن مصيبة أقعت في مصيبـة أقـوى منهـا! والله، إن هذا الموت موت مشـؤوم. يا ليتني غرقت في البحـر أو مـتّ في الجبـال، فذلـك أحسـن لي مـن هـذا المـوت الـرديء. ولم أزل عـلى هـذه الحالـة، ألـوم نفـسي، ثـم نمـت عـلى عظـام الأمـوات، واسـتعنت باللـه حتـى أحـرقَ قلبـي الجـوع، وألهبنـي العطـش فقعـدت وحسسـت عـلى الخبـز وأكلـت منـه شـيئاً قليـلاً، وتجرَّعـت عليه شـيئاً قليلاً مـن المـاء، ثـم إني قمـت ووقفـت عـلى حيـلي، وصرت أمـشي في جانـب تلـك المغـارة فرأيتهـا متَّسـعة الجوانب خاليـة البطون، وفي أرضهـا أموات كثـيرون وعظـام رميمـة مـن قديـم الزمـان. عنـد ذلـك، عملـت لي مكاناً في جانـب المغـارة بعيـداً عن المـوتى الطريِّـين، وصرت أنام فيه وقـد قَلَّ زادي

وما بقي معي إلّا شيء يسير، كنت آكل في كلّ يوم أو أكثر أكلة، وأشرب شربة؛ خوفاً من فراغ الماء والزاد من عندي، قبل موتي. ولم أزل على هذه الحالة، إلى أن جلست، يوماً من الأيَّام، أفكِّر في نفسي: كيف أفعل إذا فرغ الزاد والماء من عندي؟ وإذا بالصرّة قد تزحزحت من مكانها، ونزل منه النور عندي، فقلت: يا ترى، ما الخبر؟ وإذا بالقوم واقفون على رأس البئر وقد أنزلوا رجلاً ميِّتاً وامرأة معه بالحياة، وهي تبكي وتصيح على نفسها، وقد أنزلوا عندها شيئاً كثيراً من الزاد والماء، فصرت أنظر المرأة وهي لم تنظرني، وقد غطّوا فم البئر بالحجر، وانصرفوا إلى حال سبيلهم، فقمت أنا وأخذت في يدي قصبة رجل ميِّت، وجئت إلى المرأة وضربتها في وسط رأسها، فوقعت على الأرض مغشيّاً عليها، فضربتها ثانياً وثالثاً، فماتت، فأخذت خبزها وما معها، ورأيت عليها شيئاً كثيراً من الحلي والحلل والقلائد والجواهر والمعادن، ثم إني أخذت الماء والزاد الذي مع المرأة، وقعدت في الموضع الذي كنت عملته في جانب المغارة لأنام فيه، وصرت آكل من ذلك الزاد شيئاً قليلاً، على قدر ما يقوِّتني حتى لا يفرغ بسرعة، فأموت من الجوع والعطش. وأقمت في تلك المغارة مدّة من الزمان، وأنا كلّما دفنوا أحداً أقتل مَنْ دُفِن معه بالحياة، وآخذ أكله وشربه أتقوَّت به، إلى أن كنت نائماً، يوماً من الأيّام، فاستيقظت من منامي وسمعت شيئاً يكركب في جانب المغارة، فقلت: ما يكون هذا؟ ثم إني قمت ومشيت نحوه، ومعي قصبة رجل ميِّت فلمّا أحسَّ بي فَرّ وهرب مني، فإذا هو وحش فتبعته إلى صدر المغارة، فبانَ لي نور من مكان صغير مثل النجمة، تارةً يبين لي، وتارةً يخفى عني. فلمّا نظرته قصدت نحوه، وبقيت كلَّما أتقرَّب منه يظهر لي نور منه ويتَّسع، فعند ذلك تحقَّقت أنه خرق في تلك المغارة ينفذ إلى الخلاء، فقلت في نفسي: لابدَّ أن يكون لهذا المكان حركة: إمّا أن يكون مدفناً ثانياً مثل الذي نزلوني منه، وإمّا أن يكون تخريقاً من هذا المكان. ثم إني تفكَّرت في نفسي ساعة من الزمان، ومشيت إلى ناحية النور، وإذا به ثقب في ظهر الجبل من الوحوش، ثقبوه، وصاروا يدخلون منه إلى هذا المكان ويأكلون الموتى حتى يشبعوا، ويطلعوا من ذلك الثقب. فلمّا

رأيتـه هـدأت روحـي واطمأنَّـت نفـسي، وارتـاح قلبـي، وأيقنـت بالحيـاة بعد المـمات، وصرت كأني في المنـام. ثـم إني عالجـت حتـى طلعـت مـن ذلـك الثقـب، فرأيـت نفـسي عـلى جانـب البحـر المالـح، فـوق جبـل عظيـم وهـو قاطـع بـين البحريـن وبـين الجزيـرة والمدينـة، ولا يسـتطيع أحـد الوصـول إليـه فحمـدت اللـه (تعـالى)، وشـكرته وفرحـت فرحاً عظيـماً، وقـوِيَ قلبي. ثـم إني، بعـد ذلـك، رجعـت مـن الثقـب إلى المغـارة، ونقلـت جميـع مـا فليهـا مـن الـزاد والماء الـذي كنت وفَّرته، ثـم إني أخذت من ثيـاب الأموات ولبسـت شـيئاً منهـا غـير الـذي كان عـليَّ، وأخـذت مـمّا عليهـم شـيئاً كثـيراً مـن أنـواع العقـود والجواهـر وقلائـد اللؤلـؤ والمصـاغ مـن الفضّـة والذهب المرصَّـع بأنـواع المعـادن والتحـف، وربطتـه في ثيـاب المـوتى، وأخرجتهـا مـن الثقـب إلى ظهـر الجبـل، ووقفـت عـلى جانـب البحـر. وبقيـت في كلّ يـوم أنـزل المغـارة، ثـم أطلـع وآخذ مـن كلّ من دفنـوه زاده ومـاءه وأقتله، سـواء أكان ذكـراً أم كان أنثـى، وأطلـع مـن ذلك الثقب فأجلـس على جانب البحـر لأنتظـر الفـرج مـن الله (تعالى) بمركـب تجوز عـليَّ. وصرت أنقل من تلـك المغـارة كلّ شيء رأيتـه مـن المصـاغ، وأربطـه في ثيـاب المـوتى، ولم أزل عـلى هـذه الحالـة مـدّة مـن الزمان.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (543)، قالـت: بلغنـي- أيُّهـا الملـك السـعيد- أن السـندباد البحـري صـار ينقـل مـن تلـك المغـارة مـا يلقـاه فيهـا مـن مصـاغ وغـيره، ويجلـس عـلى جانـب البحر مـدّة من الزمـان. قال: فبينـما أنا جالـس، يوماً مـن الأيّـام، عـلى جانـب البحر، وأنا متفكّـر في أمري، وإذا بمركـب سـائر في وسـط البحـر العجـاج المتلاطـم بالأمـواج، فأخـذت في يدي ثوبـاً أبيض من ثيـاب المـوتى وربطته في عكّاز وجريت به على شـاطئ البحر، وصرت أشـير إليهـم بذلـك الثوب حتـى لاحت منهم التفاتة، فـرأوني وأنا في رأس الجبل، فجـاؤوا إليَّ بعـد أن سـمعوا صـوتي، وأرسـلوا إلي زورقـاً مـن عندهـم، وفيه جماعـة مـن المركـب. ولم نـزل مسـافرين مـن جزيـرة إلى جزيـرة ومن بحر إلى بحـر، وأنـا أرجـو النجـاة، وصرت فرحانـاً بسـلامتي، وكنـت كلَّـما أتفكَّـر

قعـودي في المغـارة مـع زوجتـي يغيـب عقـلي. وقـد وصلنـا، بقـدرة اللـه (تعـالى)، مـع السـلامة، إلى مدينـة البـصرة، فطلعـت إليهـا، وأقمـت فيهـا أيّامـاً قلائـل، وبعدهـا جئـت إلى مدينـة بغـداد، فجئـت إلى حـارتي ودخلت داري وقابلـت أهـلي وأصحـابي وسـألت عنهم، ففرحـوا بسـلامتي وهنّأوني، وقـد خزَّنـت جميـع مـا كـان معـي مـن الأمتعـة في حواصـلي وتصدَّقـت، ووهبـت، وكسـوت الأيتـام والأرامـل، وصرت في غايـة البسـط والـسرور، وقـد عـدت إلى مـا كنـت عليه مـن المعـاشرة والمرافقة ومصاحبـة الإخوان واللهـو والطـرب، وهـذا أعجـب مـا صـار لي في السـفرة الرابعة!

ولكـن، يـا أخـي، تعـشَّ عنـدي، وخـذ عادتـك، وفي غـد تجـيء عنـدي فأخـبرك بمـا كان لي ومـا جـرى لي في السـفرة الخامسـة، فإنهـا أعجـب وأغـرب مـمّا سبق! ثـم أمـر لـه بمئة مثقـال ذهـب، ومَـدّ السـماط، وتعشّى الجماعـة وانصرفـوا إلى حال سـبيلهم، وهـم متعجِّبون غايـة العجب، وكلّ حكايـة أعظـم مـن التـي قبلها. وقد راح السـندباد الحـمّال إلى منزله، وبات في غايـة البسـط والانـشراح، وهـو متعجِّـب! ولمّـا أصبـح الصبـاح وأضـاء بنـوره ولاح، قـام السـندباد الـبري وصـلّى الصبـح، ثـم تمـشّى إلى أن دخـل دار السـندباد البحـري، وصبَّـح عليـه فرحَّـب بـه، وأمـره بالجلـوس عنـده حتـى جـاء بقيّـة أصحابـه، فأكلـوا وشربـوا وتلـذَّذوا وطربـوا، ودارت بينهـم المحادثـة، فابتـدأ السـندباد البحـري بالـكلام.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.



الحكاية الخامسة

(السفرة الخامسة)

وفي الليلة (544)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري ابتدأ بالكلام فيما جرى وما وقع له في الحكاية الخامسة، فقال: اعلموا، يا إخواني، أني لمّا رجعت من السفرة الرابعة وقد غرقت في اللهو والطرب والانشراح، نسيت جميع ما كنت لقيته وما جرى لي، وما قاسيته من شدّة فرحي بالمكسب والربح والفوائد، فحدَّثتني نفسي بالسفر والتفرُّج في بلاد الناس وفي الجزائر، فقمت وهممت في ذلك الوقت واشتريت بضاعة نفيسة تناسب البحر، وحزمت الحمول، وسرت من مدينة بغداد وتوجَّهت إلى مدينة البصرة، ومشيت على جانب الساحل فرأيت مركباً كبيراً مليحاً فأعجبتني فاشتريتها، وكانت عدَّتها جديدة، واكتريت له ريِّساً وبحريّة، ونظرت عليها عبيدي وغلماني، وأنزلت فيها حمولي. وجاءني جماعة من التجّار فنزَّلوا حمولهم

فيهـا، ودفعـوا لي الأجـرة، وسرنـا ونحـن في غايـة الفـرح والـسرور، وقـد استبشرنا بالسلامة والكسب، ولم نـزل مسـافرين من جزيـرة إلى جزيرة ومـن بحـر إلى بحـر، ونحن نتفـرَّج في الجزائر والبلدان، ونطلـع إليها نبيع فيهـا ونشـتري. ولم نـزل عـلى هـذه الحالة حتـى وصلنـا، يوماً مـن الأيّام، إلى جزيـرة خاليـة مـن السـكّان، وليـس فيها أحد، وهـي خـراب وفيها قبّة عظيمـة بيضـاء كبـيرة الحجـم، فطلعنا نتفـرَّج عليهـا، وإذا هـي بيضة رخّ كبـيرة. فلـمّا طلـع التجّـار إليهـا، وتفرَّجـوا عليهـا، لم يعلمـوا أنهـا بيضـة رخ فضربوهـا بالحجـارة فكُسِرت، ونـزل منهـا مـاء كثـير وقـد بـان منهـا فـرخ الـرخّ، فسـحبوه منهـا وأخرجـوه مـن تلـك البيضـة وذبحـوه، وأخذوا منـه لحـماً كثـيراً، وأنـا في المركـب، فلـم أعلـم بمـا فعلـوه ولم يطلعـوني عليـه، فعنـد ذلـك قـال لي واحـد مـن الـركّاب: يـا سـيِّدي، قـم تفـرَّج على هـذه البيضـة التـي تحسـبها قبّـة، فقمـت لأتفـرَّج عليهـا، فوجـدت التجّار يضربـون البيضـة، فصحـت بهـم: لا تفعلـوا هـذا الفعـل، فيطلـع طـير الـرخّ ويكسر مركبنـا، ويهلكنـا، فلـم يسـمعوا كلامـي. فبينـما هـم عـلى هـذه الحالـة وإذا بالشـمس قـد غابـت عنّـا، والنهـار أظلـم، وصـار فوقنـا غمامـة، أظلـمَ الجـوُّ منهـا، فرفعنا رؤوسـنا ننظر مـا الذي حـال بيننا وبين الشـمس، فرأينـا أجنحـة الـرخ وقد حجبـت عنّا ضوء الشـمس حتى أظلم الجـوّ، وذلـك أنـه لمّا جاء الـرخّ رأى بيضتـه انكسرت فتبعنا وصـاح علينا، فجـاءت رفيقتـه، وصـارا حائمَـيْن عـلى المركـب يصرخان بصوت أشـدّ من الرعـد، فصحـت أنـا على الريِّـس والبحريـة، وقلت لهم: ادفعـوا المركب، واطلبـوا السـلامة قبـل أن نهلـك، فأسرع الريِّـس وطلع التجّـار، وسرنا في تلـك الجزيـرة. فلـما رآنـا الـرخّ قـد سرنـا في البحـر غـاب عنّـا سـاعة مـن الزمـان، وكنّـا قد سرنـا وأسرعنا في السـير بالمركب، نريـد الخلاص منهما والخـروج مـن أرضهـما، وإذا بهـما قـد تبعانـا وأقبـلا علينـا وفي رجْـل كلّ واحـد منهـما صخـرة عظيمة مـن الجبـل فألقى الـرخّ الذكَر الصخـرة التي كانـت معـه علينـا، فجـذب الريِّـس المركـب وقـد أخطأهـا نـزول الصخـرة بـشيء قليـل، فنزلـت في البحـر تحـت المركـب، فقـام بنـا المركـب وقعد مـن عِظَـم وقوعهـا في البحـر، وقـد رأينـا قعـر البحـر مـن شـدّة عزمهـا.

ثـم إن رفيقـة الـرخّ ألقـت علينـا الصخـرة التـي معهـا، وهـي أصغـر مـن الأولى، فنزلـت بالأمـر المقـدَّر عـلـى مؤخِّر المركب فكسرته وطـيَّرت الدفّة عشريـن قطعـة، وقـد غـرق جميـع مـا كان في المركـب بالبحـر، فـصرت أحـاول النجـاة مـن حـلاوة الـروح، فقـدَّر اللـه (تعـالى) لي لوحـاً مـن ألواح المركـب، فتعلَّقـت فيـه، وركبتـه وصرت أقـذف عليـه برجـلي والريـح والمـوج يسـاعداني عـلى السـير، وكان المركـب قـد غـرق بالقـرب مـن جزيـرة في وسـط البحـر، فرمتنـي المقاديـر- بـإذن اللـه (تعـالى)- إلى تلك الجزيـرة فطلعـت عليهـا وأنـا على آخر نفـس، وفي حالة الموت من شـدّة مـا قاسيته من التعب والمشـقّة والجوع والعطش. ثـم إني انطرحت على شـاطئ البحر سـاعة مـن الزمان، حتـى ارتاحت نفسي، واطـمأنّ قلبي، ثم مشـيت في تلـك الجزيـرة فرأيتها كأنها روضـة من رياض الجنّة: أشـجارها يانعـة، وأنهارهـا دافقـة، وطيورهـا مغـرِّدة تسـبِّح مـن لـه العـزّة والبقـاء. وفي تلـك الجزيـرة شيء كثير من الأشـجار والفواكه وأنـواع الأزهار، فعند ذلـك أكلـت مـن الفواكـه حتـى شـبعت، وشربـت مـن تلـك الأنهـار حتـى رويـت، وحمـدت اللـه (تعـالى) عـلى ذلـك، وأثنيـت عليه.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (545)، قالـت: بلغنـي- أيُّهـا الملـك السـعيد- أن السـندباد البحـري حمـد اللـه، وأثنـى عليـه، وقـال: ولم أزل عـلى هذه الحالـة قاعداً في الجزيـرة إلى أن أمـسى المسـاء، وأقبـل الليـل وأنـا مثـل القتيـل مـمّا حصـل لي مـن التعـب والخـوف، ولم أسـمع في تلـك الجزيرة صوتـاً، ولم أرَ فيهـا أحـداً، ولم أزل راقـداً فيهـا إلى الصبـاح، ثـم قمـت عـلى حيـلي، ومشـيت بـين تلـك الأشـجار فرأيـت سـاقية عـلى عـين مـاء جاريـة، وعنـد تلـك السـاقية شـيخ جالـس مليـح وذلـك الشـيخ مؤتـزر بـإزار مـن ورق الأشـجار، فقلـت في نفسي: لعـلَّ هـذا الشـيخ طلـع إلى هـذه الجزيـرة، وهـو مـن الغرقـى الذيـن كُسِرت بهـم المركـب، ثـم دنـوت منـه وسـلَّمت عليـه فـردَّ عـليَّ السـلام بالإشـارة، ولم يتكلَّـم. فقلـت لـه: يـا شـيخ، مـا سـبب جلوسـك في هـذا المـكان؟ فحـرَّكَ رأسـه وتأسَّـف، وأشـار لي بيده؛

أن احملني على رقبتك، وانقلني من هذا المكان إلى جانب الساقية الثانية، فقلت في نفسي: اعمل مع هذا معروفاً، وأنقله إلى المكان الذي يريده، لعلّ ثوابه يحصل لي، فتقدَّمت إليه وحملته على أكتافي، وجئت إلى المكان الذي أشار لي إليه، وقلت له: انزل على مهلك، فلم ينزل عن أكتافي، وقد لَفَّ رجليه على رقبتي، فنظرت إلى رجليه فرأيتهما مثل جلد الجاموس في السواد والخشونة، ففزعت منه وأردت أن أرميه من فوق أكتافي، فقرط على رقبتي برجليه، وخنقني بهما حتى اسودَّت الدنيا في وجهي، وغبت عن وجودي، ووقعت على الأرض مغشيّاً عليَّ مثل الميِّت، فرفع ساقيه وضربني على ظهري وعلى أكتافي فحصل لي ألم شديد، فنهضت قائماً به وهو راكب فوق أكتافي، وقد تعبت منه فأشار لي بيده؛ أن ادخلْ بين الأشجار، فدخلت إلى أطيب الفواكه وكنت إذا خالفته يضربني برجليه ضرباً أشدّ من ضرب الأسواط. ولم يزل يشير إليَّ بيده إلى كلّ مكان أراده، وأنا أمشي به إليه، وإن توانيت أو تمهَّلت ضربني وأنا معه شبه الأسير، وقد دخلنا في وسط الجزيرة بين الأشجار، وصار يبول ويغوط على أكتافي، ولا ينزل ليلاً ولا نهاراً، وإذا أراد النوم يلفّ رجليه على رقبتي وينام قليلاً، ثم يقوم ويضربني، فأقوم مسرعاً به ولا أستطيع مخالفته من شدّة ما أقاسي منه، وقد لمت نفسي على ما كان منّي من حمله والشفقة عليه. ولم أزل معه على هذه الحالة، وأنا في أشدّ ما يكون التعب، وقلت في نفسي: أنا فعلت مع هذا خيراً، فانقلب عليَّ شراً. والله، ما بقيت أفعل مع أحد خيراً طول عمري، وقد صرت أتمنّى الموت من الله (تعالى)، في كلّ وقت وكل ساعة؛ من كثرة ما أنا فيه من التعب والمشقّة. ولم أزل على هذه الحالة مدّة من الزمان، إلى أن جئت به، يوماً من الأيّام، إلى مكان في الجزيرة، فوجدت فيه يقطيناً كثيراً ومنه شيء يابس، فأخذت منه واحدة كبيرة يابسة، وفتحت رأسها وصفَّيتها إلى شجرة العنب فملأتها منها، وسددت رأسها ووضعتها في الشمس، وتركتها مدّة أيّام حتى صارت خمراً صافياً، وصرت كلّ يوم أشرب منه لأستعين به على تعبي مع ذلك الشيطان المريد، وكنت كلَّما سكرت منها تقوى

همَّتي، فنظرني، يوماً من الأيَّام، وأنا أشرب، فأشار لي بيده: ما هذا؟ فقلت له: هذا شيء مليح يقوّي القلب، ويشرح الخاطر. ثم إني جريت به ورقصت بين الأشجار، وحصل لي نشوة من السكر فصفَّقت وغنَّيت وانشرحت، فلمّا رآني على هذه الحالة أشار لي أن أناوله اليقطينة ليشرب منها فخفت منه، وأعطيتها له فشرب ما كان باقياً فيها ثم رماها على الأرض، وقد حصل له طرب، فصار يهتزّ على أكتافي، ثم إنه سَكِر وغرق في السكْر، وقد ارتخت جميع أعضائه وفرائصه، وصار يتمايل من فوق أكتافي، فلمّا علمت بسُكْره، وأنه غاب عن الوجود، مددت يدي إلى رجليه وفككتهما من رقبتي، ثم ملت به إلى الأرض، وألقيته عليها.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (547)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري لمّا ألقى الشيطان عن أكتافه، على الأرض، قال: فما صدَّقت أني خلصت نفسي، ونجوت من الأمر الذي كنت فيه، ثم أني خفت منه أن يقوم من سكْره فيؤذيني، فأخذت صخرة عظيمة من بين الأشجار وجئت إليه فضربته على رأسه، وهو نائم، فاختلط لحمه بدمه وقد قُتِل، فلا رحمة الله عليه. بعد ذلك، مشيت في الجزيرة، وقد ارتاح خاطري وجئت إلى المكان الذي كنت فيه على ساحل البحر، ولم أزل في تلك الجزيرة آكل من أثمارها وأشرب من أنهارها مدّة من الزمان، وأنا أترقَّب مركباً تمرّ بي، إلى أن كنت جالساً يوماً من الأيّام، متفكِّرا فيما جرى لي وما كان من أمري، وأقول في نفسي: يا ترى، هل يبقيني الله سالماً، ثم أعود إلى بلادي واجتمع بأهلي وأصحابي؟، وإذا بمركب قد أقبلت من وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج، ولم تزل سائرة حتى رست على تلك الجزيرة، وطلع منها الركّاب إلى الجزيرة، فمشيت إليهم، فلمّا نظروني أقبلوا عليَّ كلُّهم مسرعين، واجتمعوا حولي، وقد سألوني عن حالي وما سبب وصولي إلى تلك الجزيرة، فأخبرتهم بأمري وما جرى لي فتعجَّبوا من ذلك غاية العجب، وقالوا: إن هذا

الرجل الذي ركب على أكتافك يسمّى شيخ البحر، وما أحد دخل تحت أعضائه وخلص منه إلّا أنت، والحمدلله على سلامتك. ثم إنهم جاؤوا إليّ بشيء من الطعام، فأكلت حتى اكتفيت وأعطوني شيئاً من الملبوس لبسته، وسترت به عورتي، ثم أخذوني معهم في المركب. وقد سرنا أيّاماً وليالِيَ، فرمَتْنا المقادير على مدينة عالية البناء جميع بيوتها مطلّة على البحر، وتلك المدينة يقال لها (مدينة القرود)، وإذا دخل الليل يأتي الناس الذين يسكنون في تلك المدينة، فيخرجون من هذه الأبواب التي على البحر، ثم ينزلون في زوارق ومراكب ويبيتون في البحر خوفاً من القرود أن ينزلوا عليهم في الليل، من الجبال، فطلعت أتفرَّج في تلك المدينة، فسافرت المركب ولم أعلم، فندمت على طلوعي إلى تلك المدينة، وتذكَّرت رفقتي وما جرى لي مع القرود، أوَّلاً وثانياً، فقعدت أبكي وأنا حزين، فتقدَّم إليّ رجل من أصحاب هذه البلد وقال: يا سيِّدي، كأنك غريب في هذه الديار! فقلت له: نعم، أنا غريب ومسكين، وكنت في مركب قد رست على تلك المدينة، فطلعت منها لأتفرَّج في المدينة، وعدت إليها فلم أرَها، فقال: قم وسِرْ معنا. انزل الزورق فإنك إن قعدت في المدينة ليلاً أهلتك القرود، فقلت: له سمعاً وطاعة. وقمت من وقتي وساعتي، ونزلت معهم في الزورق، ودفعوه من البرّ حتى أبعدوه عن ساحل البحر مقدار ميل، وباتوا تلك الليلة وأنا معهم في الزورق. فلمّا أصبح الصباح رجعوا بالزورق إلى المدينة، وطلعوا، وراح كلّ واحد منهم إلى شغله، ولم تزل هذه عادتهم كلّ ليلة، وكلّ من تخلَّف منهم في المدينة، بالليل، جاءت إليه القرود فأهلكته. وفي النهار، تطلع القرود إلى خارج المدينة فتأكل من أثمار البساتين، وترقد في الجبال إلى وقت المساء ثم تعود إلى المدينة، وهذه المدينة في أقصى بلاد السودان. ومن أعجب ما وقع لي من أهل هذه المدينة أن شخصاً من الجماعة الذين بتّ معهم في الزورق، قال لي: يا سيِّدي، أنت غريب في هذه الديار فهل لك صنعة تشتغل فيها؟ فقلت: لا والله، يا أخي، ليس لي صنعة، ولست أعرف عمل شيء، وأنا رجل تاجر صاحب مال ونوال، وكان لي مركب ملكي مشحونة

بأموال كثيرة وبضائع فكسرت في البحر وغرق جميع ما كان فيها، وما نجوتُ من الغرق إلّا بإذن الله، فرزقني الله بقطعة لوح ركبتها، فكانت السبب في نجاتي من الغرق. عند ذلك قام الرجل، وأحضر لي مخلاة من قطن، وقال لي: خذ هذه المخلاة، واملأها حجارة زلط من هذه المدينة، ثم أخرج مع جماعة من أهل المدينة، وأنا أرافقك إليهم، وأوصيهم بك. افعل كما يفعلون؛ فلعلَّك تعمل بشيء تستعين به على سفرك وعودك إلى بلادك. ثم إن ذلك الرجل أخذني وأخرجني إلى خارج المدينة، فنقَّيت حجارة صغيرة من الزلط، وملأت تلك المخلاة، وإذا بجماعة خارجين من المدينة، فأرفقني بهم وأوصاهم بي، وقال لهم: هذا رجل غريب فخذوه معكم وعلِّموه اللقط، فلعلّه يعمل بشيء يتقوَّت به، ويبقى لكم الأجر والثواب. فقالوا: سمعاً وطاعةً. ورحَّبوا بي وأخذوني معهم، وساروا وكلّ واحد منهم معه مخلاة مثل المخلاة التي معي مملوءة زلطاً، ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى وادٍ واسع فيه أشجار كثيرة عالية، لا يقدر أحد أن يطلع عليها. وفي ذلك الوادي قرود كثيرة فلما رأتنا هذه القرود نفرت منّا، وتسلَّقت تلك الأشجار، فصاروا يرجمون القرود بالحجارة التي معهم في المخالي، والقرود تقطع من ثمار تلك الأشجار وترمي بها هؤلاء الرجال، فنظرت تلك الثمار التي ترميها القرود وإذا هي جوز هندي، فلمّا رأيت ذلك العمل من القوم اخترت شجرة عظيمة عليها قرود كثيرة، وجئت إليها وصرت أرجم هذه القرود فتقطع من ذلك الجوز وترميني به، فأجمعه كما يفعل القوم، فما فرغت الحجارة من مخلاتي حتى جمعت شيئاً كثيراً. ولمّا فرغ القوم من هذا العمل لمّوا جميع ما كان معهم وحمل كلّ واحد منهم ما أطاقه، ثم عدنا إلى المدينة في باقي يومنا. فجئت إلى الرجل صاحبي الذي أرفقني بالجماعة، وأعطيته جميع ما جمعت، وشكرت فضله، فقال لي: خذ هذا بعه وانتفع بثمنه، ثم أعطاني مفتاح مكان في داره، وقال لي: ضع في هذا المكان هذا الذي بقي معك من الجوز، واطلع في كلّ يوم مع الجماعة مثل ما طلعت هذا اليوم، والذي تجيء به ميِّزْ منه الرديء، ثم بعْه وانتفع بثمنه واحفظه عندك

في هـذا المـكان فلعلَّـك تجمـع منـه شـيئاً يعينـك عـلى سـفرك. فقلـت: أجـرك عـلى اللـه (تعـالى). وفعلـت مثـل مـا قـال لي، ولم أزل في كلّ يوم أمـلأ المخـلاة مـن الحجـارة، وأطلـع مع القـوم، وأعمـل مثل مـا يعملون. وقـد صـاروا يتواصـون بي ويدلّونـي على الشـجرة التي فيها الثمـر الكثير. ولم أزل عـلى هـذا الحـال مـدّة من الزمـان، وقد اجتمع عنـدي شيء كثير مـن الجـوز الهنـدي الطيِّب، وبعت شـيئاً كثـيراً، وكثر عنـدي ثمنه، وصرت أشـتري كلّ شيء رأيتـه، ولاقَ لخاطـري، وقـد صفا وقتـي وزاد في المدينة حظّـي. ولم أزل عـلى هـذه الحالـة مدّة، فبينما أنا واقف عـلى جانب البحر وإذا بمركـب قـد وردت إلى تلـك المدينـة، ورسـت عـلى السـاحل، وفيهـا تجّـار معهـم بضائـع، فصـاروا يبيعـون ويشـترون ويقايضـون عـلى شيء مـن الجـوز الهنـدي وغـيره، فجئـت عنـد صاحبـي وأعلمتـه بالمركـب التي جـاءت، وأخبرتـه بـأني أريد السـفر إلى بـلادي، فقـال: الرأي لـك. فودَّعته وشـكرته عـلى إحسـانه إليّ، ثـم إني جئـت عند المركـب، وقابلـت الريِّس، وأكتريـت معـه، وأنزلـت مـا كان معـي من الجـوز وغيره في تلـك المركب، ثـم سـاروا بالمركب.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (548)، قالـت: بلغنـي- أيُّهـا الملـك السـعيد- أن السـندباد البحـري لمّـا نـزل مـن مدينـة القـرود في المركـب، وأخـذ مـا كان معه من الجـوز الهنـدي وغـيره، واكـترى مـع الريِّـس، قـال: وقـد سـاروا بالمركـب في ذلـك اليـوم، ولم نـزل سـائرين مـن جزيـرة إلى جزيـرة، ومـن بحـرإلى بحـر، إلى أن وصلنـا البـصرة، فطلعـت إليهـا، وأقمـت بها مدّة يسـيرة، ثم توجَّهـت إلى مدينـة بغـداد، ودخلـت حـارتي، وجئـت إلى بيتـي، وسـلَّمت عـلى أهـلي وأصحـابي فهنّـأوني بالسـلامة، ثـم خزَّنـت جميع مـا كان معي مـن البضائـع والأمتعـة، وكسـوت الأيتـام والأرامـل، وتصدَّقـت ووهبـت وهاديـت أهـلي وأصحـابي وأحبّـابي، وقـد عـوَّض اللـه عـليَّ بأكثر مـمّا راح منـي أربـع مـرّات، وقـد نسـيت ما جـرى لي وما قاسـيته من التعـب، بكثرة الربـح والفوائـد، وعـدت إلى مـا كنـت عليـه في الزمن الأوّل مـن المعاشر

والصحبـة وهـذا أعجـب مـا كان مـن أمـري في السـفرة الخامسـة... ولكن تعشّـوا الآن، وفي غـد تعالـوا أخبركـم بمـا كان في السـفرة السادسـة؛ فإنهـا أعجـب مـن هـذه. عنـد ذلـك، مـدّوا السـماط وتعشّـوا. فلـمّا فرغـوا مـن العشـاء أمـر السـندباد للحـمّال بمئـة مثقـال مـن الذهـب، فأخذهـا وانـصرف وهـو متعجِّـب مـن ذلك الأمر، وبات السـندباد الحـمّال في بيته، ولمّـا أصبـح الصبـاح قـام وصلّى الصبـح ثـم مـشى إلى أن وصـل إلى دار السـندباد البحـري، فدخـل عليـه، وأمـره بالجلـوس، فجلـس عنـده. ولم يـزل يتحـدَّث معـه حتـى جـاء بقيّـة أصحابـه، فتحدَّثـوا ومـدّوا السـماط، وأكلـوا، وشربـوا، وتلـذذوا، وطربـوا.



الحكاية السادسة

(السفرة السادسة)

وابتدأ السندباد البحري يحدِّثهم بحكاية السفرة السادسة، فقال لهم: اعلموا- يا إخواني وأحبّائي وأصحابي- أني لمّا جئت من تلك السفرة الخامسة، ونسيت ما كنت قاسيته بسبب اللهو والطرب والبسط والانشراح، وأنا في غاية الفرح والسرور. ولم أزل على هذه الحالة إلى أن جلست يوماً من الأيّام في حظّ وسرور وانشراح زائد، فبينما أنا جالس إذا بجماعة من التجّار وردوا عليَّ، وعليهم آثار السفر، فعند ذلك تذكَّرت أيّام قدومي من السفر، وفرحي بلقاء أهلي وأصحابي وأحبّائي، وفرحي ببلادي، واشتاقت نفسي إلى السفر والتجّارة، فعزمت على السفر واشتريت لي بضائع نفيسة فاخرة تصلح للبحر، وحملت حمولي وسافرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة، فرأيت سفينة عظيمة فيها تجّار وأكابر، ومعهم بضائع نفيسة، فنزلت

حمـولي معهـم في هـذه السـفينة وسرنـا، بالسـلامة، مـن مدينـة البصرة.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (549)، قالـت: بلغنـي- أيُّهـا الملـك السـعيد- أن السـندباد البحـري لمّـا جهَّـز حمولـه ونزّلها في المركب مـن مدينة البصرة، وسـافر، قـال: ولم نـزل مسـافرين مـن مـكان إلى مـكان ومـن مدينـة إلى مدينـة، ونحـن نبيـع ونشـتري ونتفـرَّج عـلى بـلاد النـاس، وقـد طـاب لنـا السـعد والسـفر، واغتنمنـا المعـاش إلى أن كنّـا سـائرين، يومـاً مـن الأيّـام، وإذا بريِّـس المركـب قـد صرخ وصـاح، ورمـى عمامتـه، ولطـم عـلى وجهـه، ونتـف لحيتـه، ووقـع في بطـن المركـب مـن شـدّة الغـمّ والقهـر، فاجتمع عليـه جميـع التجّـار والـركّاب وقالـوا لـه: يـا ريِّس، مـا الخبر؟ فقـال لهم: اعلمـوا- يـا جماعـة- أننـا قـد تهنـا بمركبنـا، وخرجنـا مـن البحـر الـذي كنّا فيـه، ودخلنـا بحـراً لم نعـرف طرقـه، وإذا لم يقيِّض الله لنا شـيئاً يخلِّصنا مـن هـذا البحـر هلكنـا بأجمعنـا، فادعـوا اللـه (تعـالى) أن ينجِّينـا من هذا الأمـر. ثـم إن الريـس قـام وصعـد عـلى الصـاري، وأراد أن يحـلّ القلـوع، فقـوِيَ الريـح عـلى المركـب، فردَّهـا عـلى مؤخّرهـا، فانكـسرت دفَّتها قرب جبـل عـالٍ، فنـزل الريِّـس مـن الصـاري، وقـال: لا حـول ولا قـوّة إلّا باللـه العـليّ العظيـم. لا يقـدر أحـد أن يمنـع المقـدور، واعلمـوا أننـا قـد وقعنـا في مهلكـة عظيمـة، ولم يبـق لنـا منهـا خـلاص ولا نجـاة. فبـكى جميـع الـركاب عـلى أنفسـهم، وودَّع بعضهـم بعضـاً لفـراغ أعمارهـم، وانقطـع رجاؤهـم، ومـال المركـب عـلى ذلـك الجبـل، فانكـسر، وتفرَّقـت الواحـة، فغـرق جميـع مـا فيها، ووقـع التجّار في البحـر؛ فمنهم من غـرق، ومنهم مـن تمسَّـك بذلـك الجبـل وطلـع عليـه، وكنـت أنـا مـن جملـة مـن طلـع عـلى ذلـك الجبـل، وإذا فيـه جزيـرة كبـيرة، عندهـا كثـير مـن المراكـب المكـسَّرة، وفيهـا أرزاق كثـيرة على شـاطئ البحـر من الذي يطرحـه البحر مـن المراكـب التـي كُسرت، وغـرق ركّابها، وفيهـا شيء كثير يحـيرّ العقل والفكـر مـن المتـاع والأَمـوال التي يلقيهـا البحر عـلى جوانبهـا. عند ذلك، طلعـت عـلى تلـك الجزيـرة ومشـيت فيهـا، فرأيـت في وسـطها عـين مـاء

عذب حارّ، خارج من تحت أوَّل ذلك الجبل، وداخل في آخره من الجانب الثاني. عند ذلك، طلع مَنْ نجا من الركّاب على ذلك الجبل إلى الجزيرة، وانتشروا فيها وقد ذهلت عقولهم من ذلك، وصاروا مثل المجانين من كثرة ما أروا في الجزيرة من الأمتعة والأموال على ساحل البحر. وقد رأيت، في وسط تلك العين، شيئاً كثيراً من أصناف الجواهر والمعادن واليواقيت واللآلئ الكبار الملوكية، وهي مثل الحصى في مجاري الماء في تلك الغيطان. وجميع أرض تلك العين تبرق من كثرة ما فيها من المعادن وغيرها. ورأينا كثيراً في تلك الجزيرة من أعلى: العود الصيني، والعود القماري، وفي تلك الجزيرة عين نابعة من صنف العنبر الخام وهو يسيل مثل الشمع على جانب تلك العين من شدّة حرّ الشمس، ويمتد على ساحل البحر فتطلع الهوايش من البحر وتبتلعه ثم تنزل في البحر، فيحمى في بطونها فتقذفه من أفواهها في البحر فيجمد على وجه الماء، وعند ذلك يتغيِّر لونه وأحواله فتقذفه الأمواج إلى جانب البحر، فيأخذه السوّاحون والتجّار الذين يعرفونه فيبيعونه. أمّا العنبر الخالص من الابتلاع فإنه يسيل على جانب تلك العين، ويتجمَّد بأرضه، وإذا طلعت عليه الشمس يسيح وتبقى منه رائحة ذلك الوادي كلّه مثل المسك، وإذا زالت عنه الشمس يجمد. وذلك المكان، الذي هو فيه هذا العنبر الخام، لا يقدر أحد على دخوله، ولا يستطيع سلوكه فإن الجبل محاط بتلك الجزيرة، ولا يقدر أحد على صعود الجبل. ولم نزل دائرين في تلك الجزيرة نتفرَّج على ما خلق الله (تعالى) فيها من الأرزاق، ونحن متحيِّرون في أمرنا، وفيما نراه، وعندنا خوف شديد. وقد جمعنا على جانب الجزيرة شيئاً قليلاً من الزاد، فصرنا نوفِّره ونأكل منه، في كلّ يوم أو يومين، أكلة واحدة، ونحن خائفون من أن يفرغ الزاد منّا فنموت كمداً من شدّة الجوع والخوف، وكلّ من مات منّا نغسله ونكفِّنه في ثياب وقماش من الذي يطرحه البحر على جانب الجزيرة، حتى مات منّا خلق كثير، ولم يبقَ إلّا جماعة قليلة فضعفنا بوجع البطن من البحر، وأقمنا مدّة قليلة، فمات جميع أصحابي ورفقائي، واحداً بعد واحد، وكلّ من مات منهم

ندفنـه. وبقيـت في تلـك الجزيـرة وحـدي، وبقـي معـي زاد قليـل، بعـد أن كان كثـيراً، فبكيـت عـلى نفـسي وقلـت: يـا ليتني متّ قبـل رفقـائي، وكانوا غسـلوني ودفنـوني، فـلا حـول ولا قـوّة إلاّ باللـه العـليّ العظيـم.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (550)، قالـت: بلغنـي- أيُّهـا الملـك السـعيد- أن السـندباد البحـري لمّـا دفـن رفقـاءه جميعـاً، وصـار في الجزيـرة وحـده، قـال: ثـم إني أقمـت مـدّةً يسيرة، ثـم قمـت حفـرت لنفـسي حفـرة عميقـة في جانـب تلـك الجزيـرة، وقلـت في نفـسي: إذا ضعفـت، وعلمـت أن المـوت قـد أتـاني، أرقـد في هـذا القـبر فأمـوت فيـه، ويبقـى الريـح يسـفي الرمـل عـليَّ، فيغطّينـي وأصـير مدفونـاً فيه. وصرت ألـوم نفسي عـلى قلّة عقلي، وخروجـي مـن بـلادي ومدينتي، وسـفري إلى البـلاد بعد الذي قاسـيته أوّلاً وثانيـاً وثالثـاً ورابعاً وخامسـاً، وما من سـفرة من الأسـفار إلاّ وأقاسي فيها أهوالاً وشـدائد أشـقّ وأصعب مـن الأهوال التي قبلها، ومـا أصدق بالنجاة والسـلامة وأتـوب عـن السـفر في البحر وعن عـودي إليه، ولسـت محتاجاً لمـال وعنـدي شيء كثير، والـذي عندي لا أقدر أن أفنيـه، ولا أضيِّع نصفه في باقـي عمـري، وعنـدي مـا يكفينـي وزيـادة. ثـم إني تفكَّـرت في نفـسي وقلـت: واللـه، لابـدّ أن هـذا النهـر لـه أوّل وآخر، ولابـدّ له من مـكان يخرج منـه إلى العـمار. والـرأي السـديد عنـدي أن أعمـل لي فلـكاً صغـيراً عـلى قـدر مـا أجلـس فيـه، وأنـزل وألقيـه في هـذا النهـر وأسـير بـه فـإن وجدت خلاصـاً الـذي هـو أنـجُ بـإذن اللـه (تعـالى)، وإن لم أجـد لي مخلصـاً أمُـتْ داخـل هـذا النهـر، أحسـن مـن هـذا المـكان، وصرت أتحـسَّر عـلى نفسي. ثـم إني قمـت وسـعيت، فجمعـت أخشـاباً مـن تلـك الجزيـرة مـن خشـب العـود الصينـي والقـماري، وشـددتها عـلى جانـب البحـر بحبـال المراكب التـي كُسرت، وجئـت بألـواح مسـاوية مـن ألـواح المراكـب، ووضعتهـا في ذلـك الخشـب، وجعلـت ذلـك الفُلـك في عـرض ذلـك النهـر أو أقـلّ مـن عرضـه، وشـددته طيِّبـاً مكينـاً، وقـد أخـذت معـي مـن تلـك المعـادن والجواهـر والأمـوال واللؤلـؤ الكبـير الـذي هـو مثـل الحـصى، وغـير ذلـك

من الذي في تلك الجزيرة، وشيئاً من العنبر الخام الخالص الطيِّب، ووضعته في ذلك الفُلك، ووضعت فيه جميع ما جمعته من الجزيرة، وأخذت معي جميع ما كان باقياً من الزاد، ثم إني ألقيت ذلك الفُلك في هذا النهر وجعلت له خشبتين على جنبيه مثل المجاديف، وعملت بقول بعض الشعراء:

ترحَّلْ عن مكانٍ فيه ضيمٌ   وخلِّ الدارَ تنعي مَنْ بناها
فإنك واجدٌ أرضاً بأرض   ونفسك لم تجدْ نفساً سواها
ولا تجزعْ لحادثِة الليالي   فكل مصيبة يأتي انتهاها
ومن كانت منيَّته بأرضٍ   فليس يموتُ في أرضٍ سواها
ولا تبعث رسولك في مهمّ   فما لنفسٍ ناصحة سواها

وسرت بذلك الفلك في النهر، وأنا متفكِّر فيما يصير إليه أمري، ولم أزل سائراً إلى المكان الذي يدخل فيه النهر تحت ذلك الجبل، فأدخلت الفلك في هذا المكان وقد صرت في ظلمة شديدة، فأخذتني سِنة من النوم من شدّة القهر، فنمت على وجهي في الفلك، ولم يزل سائراً بي وأنا نائم، لا أدري بكثير ولا قليل حتى استيقظت فوجدت نفسي في النور، ففتحت عينيَّ فرأيت مكاناً واسعاً، وذلك الفُلك مربوط على جزيرة، وحولي جماعة من الهنود والحبشة، فلمّا رأوني قمت نهضوا إليَّ وكلَّموني بلسانهم فلم أعرف ما يقولون، وبقيت أظنّ أنه حلم، وأن هذا في المنام من شدّة ما كنت فيه من الضيق والقهر. فلمّا كلّموني، ولم أعرف حديثهم، ولم أردّ عليهم جواباً تقدَّم إليَّ رجل منهم، وقال لي بلسان عربي: السلام عليك، يا أخانا. من أنت؟ ومن أين جئت؟ وما سبب مجيئك إلى هذا المكان؟ نحن أصحاب الزرع والغيطان، وجئنا لنسقي غيطاننا وزرعنا فوجدناك نائماً في الفُلك، فأمسكناه وربطناه عندنا، حتى تقوم على مهلك، فأخبرنا: ما سبب وصولك إلى هذا المكان؟ فقلت له بالله عليك، يا سيِّدي، ائتني بشيء من الطعام فإني

جائع، وبعد ذلك اسألني عمّا تريد، فأسرع وأتاني بالطعام، فأكلت حتى شبعت، واسترحت، وسكنَ روعي، وازداد شبعي ورُدَّت لي روحي، فحمدت الله (تعالى) على كلّ حال، وفرحت بخروجي من ذلك النهر ووصولي إليهم، وأخبرتهم بجميع ما جرى لي من أوَّله إلى آخره، وما لقيته في ذلك النهار وضيقه.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (551)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري لمّا طلع من الفلك على جانب الجزيرة، ورأى فيها جماعة من الهنود والحبشة، واستراح من تعبه، سألوه عن خبره فأخبرهم بقصَّته. ثم إنهم تكلَّموا فيما بينهم، وقالوا: لابدَّ أن نأخذه معنا، ونعرضه على ملكنا ليخبره بما جرى له. قال: فأخذوني معهم وحملوا معي الفلك بجميع ما فيه من المال والنوال والجواهر والمعادن والمصاغ، وأدخلوني على ملكهم، وأخبروه بما جرى، فسلَّم عليَّ ورحَّب بي، وسألني عن حالي وما اتَّفق لي من الأمور، فأخبرته بجميع ما كان من أمري، وما لاقيته من أوَّله إلى آخره، فتعجَّب الملك من هذه الحكاية غاية العجب، وهنَّأني بالسلامة. عند ذلك، قمت وأخرجت من ذلك الفلك شيئاً كثيراً من المعادن والجواهر والعود والعنبر الخام، وأهديته إلى الملك. فقبله مني وأكرمني إكراماً زائداً، وأنزلني في مكان عنده، وقد صاحبت أخيارهم وأكابرهم، وأعزّوني معزّة عظيمة، وصرت لا أفارق دار الملك، وصار الواردون إلى تلك الجزيرة يسألونني عن أمور بلادي، فأخبرهم بها، وكذلك أسألهم عن أمور بلادهم، فيخبروني بها، إلى أن سألني ملكهم، يوماً من الأيَّام، عن أحوال بلادي، وعن أحوال حكم الخليفة في بلاد مدينة بغداد، فأخبرته بعدله في أحكامه، فتعجَّب من أموره، وقال لي: والله، إن هذا الخليفة له أمور عقلية وأحوال مُرْضية، وأنت قد حبَّبتني فيه، ومرادي أن أجهِّز له هدية وأرسلها معك إليه. فقلت: سمعاً وطاعة، يا مولانا، سوف أوصلها إليه، وأخبره أنك محبّ صادق. ولم أزل مقيماً عند ذلك الملك، وأنا في غاية العزّ

والإكـرام وحسـن المعيشـة، مـدّة مـن الزمـان، إلى أن كنت جالسـاً، يوماً مـن الأيَّـام، في دار الملـك، فسـمعت بخبر جماعة من تلـك المدينة أنهم جهَّـزوا لهـم مركبـاً يريـدون السـفر فيـه إلى نواحـي مدينة البـصرة، فقلت في نفـسي: ليـس لي أوفـق من السـفر مع هـؤلاء الجماعـة، فأسرعت من وقتـي وسـاعتي، وقبَّلـت يـد ذلـك الملـك، وأعلمته بـأن مرادي السـفر مع الجماعـة في المركـب الـذي جهَّزوه، لأني اشـتقت إلى أهلي وبلادي، فقال لي الملـك: الـرأي لـك، وإن شـئت الإقامـة عندنـا فعـلى الـرأس والعـين، وقـد حصـل لنـا أنسـك، فقلـت: واللـه، يـا سـيّدي، لقـد غمرتنـي بجميلـك وإحسـانك، لكنـي اشـتقت إلى أهـلي وبـلادي وعيـالي. فلـمّا سـمع كلامـي أحـضر التجّـار الذيـن جهّزوا المركـب، وأوصاهم بي، ووهب لي شـيئاً كثيراً مـن عنـده، ودفـع عنـي أجـرة المركـب، وأرسـل معـي هديّـة عظيمـة إلى الخليفـة هـارون الرشـيد في مدينـة بغـداد. ثـم إني ودّعت الملـك، وودّعت جميـع أصحـابي الذيـن كنت أتـردَّد عليهم، ثم نزلـت المركب مـع التجّار، وسرنـا وقـد طـاب لنا الريح والسـفر، ونحـن متوكِّلون على الله (سـبحانه، وتعـالى). ولم نـزل مسـافرين مـن بحـر إلى بحـر ومـن جزيـرة إلى جزيـرة حتـى أن وصلنـا بالسـلامة- بـإذن اللـه- إلى مدينـة البـصرة، فطلعـت مـن المركـب. ولم أزل مقيـماً بـأرض البـصرة أيّامـاً وليـاليَ حتـى جهَّزت نفسي، وحملـت حمـولي، ثـم توجَّهـت إلى مدينـة بغـداد (دار السـلام) فدخلـت عـلى الخليفـة هـارون الرشـيد، وقدَّمـت إليـه تلـك الهديّـة، وأخبرتـه بجميـع مـا جـرى لي. ثـم خزَّنـت جميـع أمـوالي وأمتعتي، ودخلـت حارتي فجـاءني أهـلي وأصحـابي، وفرَّقـت الهدايـا على جميـع أهـلي، وتصدَّقت، ووهبـت. وبعـد مـدة مـن الزمـان، أرسـل إليَّ الخليفـة فسـألني عـن سـبب تلـك الهديّـة، ومـن أيـن هـي، فقلـت: يـا أمـير المؤمنـين، واللـه لا أعـرف للمدينـة التـي هـي منهـا اسـماً ولا طريقـاً، ولكـن لمـّا غـرق المركـب الـذي كنـت فيـه طلعـت على جزيـرة، وصنعت لي فُلـكاً، ونزلت فيـه في نهر كان في وسـط الجزيـرة، ثـم أخبرتـه بمـا جـرى لي فيهـا، وكيـف كان خـلاصي مـن ذلـك النهـر إلى تلـك المدينـة، وبمـا جـرى لي فيهـا، وبسـبب إرسـال الهديـة، فتعجَّـب مـن ذلـك غايـة العجـب، وأمـر المؤرِّخـون أن يكتبـوا

حكايتـي، ويجعلوهـا في خزائنـه ليعتـبر بهـا كلّ مـن رآهـا، ثم إنـه أكرمني إكرامـاً زائـداً. أقمـت في مدينة بغـداد على ما كنت عليـه في الزمن الأوَّل، ونسـيت جميـع مـا جـرى لي وما قاسـيته مـن أوّلـه إلى آخـره، ولم أزل في لـذّة عيـش ولهـو وطـرب. وهـذا مـا كان من أمـري في السـفرة السادسـة، يـا إخـواني. وإن شـاء اللـه (تعـالى)، أحـكي لكـم، في غـد، حكايـة السـفر السـابعة، فإنهـا أعجـب وأغـرب مـن هـذه السـفرات، ثـم إنـه أمـر بمـدّ السـماط، وتعشّـوا عنده، وأمر السـندباد البحري للسـندباد الحمّال بمئة مثقـال مـن الذهـب، فأخذهـا وانصرف الجماعـة وهم متعجِّبـون من ذلك غايـة العجب.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

الحكاية السابعة

(السفرة السابعة)

وفي الليلة (552)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري لمّا حكى حكاية سفرته السادسة، وراح كلّ واحد إلى حال سبيله، بات السندباد الحمّال في منزله، ثم صلّى الصبح، وجاء إلى منزل السندباد البحري ثم أقبل الجماعة. فلمّا تكلَّموا ابتدأ السندباد البحري بالكلام في حكاية السفرة السابعة، وقال: اعلموا- يا جماعة- أني لمّا رجعت من السفرة السادسة، وعدت لما كنت عليه في الزمن الأوَّل من البسط والانشراح واللهو والطرب، أَقمت على تلك الحالة مدّة من الزمان وأنا متواصل الهناء والسرور ليلاً ونهاراً، وقد حصل لي مكاسب كثيرة وفوائد عظيمة، فاشتاقت نفسي إلى الفرجة في البلاد، وإلى ركوب البحر وعِشْرة التجّار وسماع الأخبار، فهممت بذلك الأمر وحزمت أحمالاً بَحْرية من الأمتعة الفاخرة، وحملتها من مدينة بغداد

إلى مدينـة البـصرة، فرأيـت مركبـاً محضَّراً للسـفر، وفيه جماعة مـن التجّار العظـام فنزلـت معهم واستأنسـت بهـم، وسرنا بسـلامة وعافيـة، قاصدين السـفر، وقـد طـاب لنـا الريـح حتـى وصلنـا إلى مدينـة الصـين، ونحـن في غايـة الفـرح والـسرور نتحـدَّث معـاً في أمـر السـفر والمتجـر. فبينـما نحـن عـلى هـذه الحالـة، وإذا بريـح عاصـف هبّ مـن مقـدم المركب، ونـزل علينا مطـر شـديد حتـى ابتلّينا وابتلَّت حمولنـا فغطَّينا الحمـول باللبّاد والخيش، خوفـاً عـلى البضاعـة من التلف بالمطـر، وصرنا ندعو اللـه (تعالى) ونتضرَّع إليـه في كشـف مـا نـزل بنـا ممّا نحـن فيـه. فعند ذلـك، قام ريِّـس المركب، وشـدَّ حزامـه وتشـمَّر وطلـع عـلى الصـاري، وصـار يلتفـت يمينـاً وشـمالاً، وبعـد ذلـك نظـر إلى أهـل المركـب ولطـم على وجهـه ونتـف لحيتـه، فقلنا: يـا ريِّـس، مـا الخبر؟ فقـال لنا: اطلبـوا من الله (تعـالى) النجاة مـمّا وقعنا، وابكـوا عـلى أنفسـكم، ليودِّعـوا أحدكـم الآخـر، واعلمـوا أن الريـح قد غلب علينـا ورمانـا في آخـر بحـار الدنيـا. ثـم إن الريِّـس نـزل مـن فـوق الصـاري، وفتـح صندوقـه وأخرج منه كيسـاً قطنـاً وفكَّه وأخرج منه ترابـاً مثل الرماد، وبَلَّـه بالمـاء، وصبر عليـه قليـلاً وشـمَّه، ثـم إنـه أخرج مـن ذلـك الصندوق كتابـاً صغـيراً وقـرأ فيـه، وقـال لنـا: اعلمـوا- يـا ركّاب- أن في هـذا الكتـاب أمـراً عجيبـاً يـدلّ عـلى أن كلّ مـن وصـل إلى هـذه الأرض لم ينـجُ منهـا، بـل يهلـك، وهـذه الأرض تسـمّى (إقليـم الملـوك)، وفيهـا قـبر سـيِّدنا سـليمان بـن داود (عليهـما السـلام)، وفيـه حيّات عظـام الخلقة هائلـة المنظر، فكلّ مركـب وصـل إلى هـذا الإقليـم يطلـع لـه حـوت مـن البحـر فيبتلعـه بجميع مـا فيـه. فلـمّا سـمعنا هـذا الـكلام مـن الريِّـس تعجَّبنـا غايـة العجـب مـن حكايتـه، فلـم يُتـمّ الريِّـس كلامـه لنـا حتـى صـار المركـب يترفَّـع بنـا عـن المـاء، ثـم ينـزل، وسـمعنا صرخـةً عظيمـة مثـل الرعـد القاصـف، فارتعبنا منهـا وصرنـا كالأمـوات وأيقنّـا بالهـلاك في ذلـك الوقـت، وإذا بحـوت قـد أقبـل عـلى المركـب كالجبـل العـالي ففزعنـا منـه، وقـد بكينـا عـلى أنفسـنا بـكاءً شـديداً، وتجهزنـا للموت، وصرنـا ننظر إلى ذلك الحـوت ونتعجَّبٍ من خلقتـه الهائلـة، وإذا بحـوت ثـانٍ قـد أقبل علينـا، فما رأينا أعظـم خلقةً منه ولا أكـبر!. فعنـد ذلـك، ودّع بعضًنـا بعضـاً ونحـن نبـكي عـلى أرواحنـا، وإذا

بحوت ثالث قد أقبل وهو أكبر من الاثنين اللذين جاءانا قبله، وصرنا لا نعي ولا نعقل وقد اندهشت عقولنا من شدّة الخوف والفزع، ثم إن هذه الحيتان الثلاثة صارت تدور حول المركب، وقد أهوى الحوت الثالث ليبتلع المركب بكلّ ما فيه، وإذا بريح عظيم ثار فقام المركب ونزل على شِعْب عظيم، فانكسر وتفرَّقت جميع الألواح، وغرقت جميع الحمول والتجّار والركاب في البحر. فخلعت أنا جميع ما عليَّ من الثياب، ولم يبق عليَّ غير ثوب واحد، ثم عمت قليلاً فلحقت لوحاً من ألواح المركب، وتعلَّقت به ثم طلعت عليه وركبته، وقد صارت الأمواج والأرياح تلعب بي على وجه الماء وأنا قابض على ذلك اللوح، والموج يرفعني ويحطّني، وأنا في أشدّ ما يكون من المشقّة والخوف والجوع والعطش، وصرت ألوم نفسي على ما فعلته، وقد تعبت نفسي بعد الراحة فقلت: يا سندباد، يا بحريّ، أنت لم تتب! كلّ مرّة تقاسي فيها الشدائد والتعب، ولم تتب عن سفر البحر، وإن تبت تكذب في التوبة، فقاسِ كلّ ما تلقاه فإنك تستحقّ جميع ما يحصل لك.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (553) قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري لمّا غرق في البحر رَكب لوحاً من الخشب، وقال في نفسه: أستحقّ جميع ما يجري لي، وكلّ هذا مقدَّر عليّ من الله (تعالى) حتى أرجع عمّا أنا فيه من الطمع، وهذا الذي أقاسيه هو من طمعي؛ فإن عندي مالاً كثيراً، ثم إنه قال: وقد رجعتُ إلى عقلي، وقلت: إني في هذه السفرة قد تبت إلى الله (تعالى) توبة نصوحاً عن السفر، وما بقيت عمري أذكره على لساني، ولا يخطر في بالي. ولم أزل أتضرَّع إلى الله (تعالى)، وأبكي. ثم إني تذكَّرت في نفسي ما كنت فيه من الراحة والسرور واللهو والطرب والانشراح، ولم أزل على هذه الحالة أوَّل يوم وثاني يوم، إلى أن طلعت على جزيرة عظيمة فيها شيء كثير من الأشجار والأنهار فصرت آكل من ثمر تلك الأشجار، وأشرب من ماء تلك الأنهار حتى انتعشت ورُدَّت إليَّ روحي، وقويت همّتي، وانشرح صدري. ثم مشيت

في الجزيـرة، فرأيـت في جانبهـا الثـاني نهراً عظيـماً من المـاء العذب، لكن ذلـك النهـر يجـري جريـاً قويّـاً: فتذكـرت أمـر الفلـك الـذي كنـت فيه سـابقاً وقلـت في نفـسي: لابـدَّ أن أعمـل لي فُلـكاً مثلـه لعـلّي أنجـو من هـذا الأمر، فـإن نجـوت بـه حصـل المـراد، وتبـت إلى اللـه (تعـالى) مـن السـفر، وإن هلكـت ارتـاح قلبـي مـن التعـب والمشـقّة. ثـم إني قمـت فجمعـت أخشـاباً مـن تلـك الأشـجار مـن خشـب الصنـدل العـال الـذي لا يوجـد مثلـه، وأنا لا أدري أيّ شيء هـو. ولمّـا جمعـت تلـك الأخشـاب تحلَّيـت بأغصـان ونبـات مـن هـذه الجزيـرة، وفتلتهـا مثـل الحبـال وشـددت بهـا الفلـك، وقلـت: إن سـلمت فمـن اللـه. ثـم إني أنزلت في ذلـك، الفلك وسرت بـه في ذلك النهر حتـى خرجـت مـن آخـر الجزيـرة، ثـم بعـدت عنهـا. ولم أزل سـائراً أوَّل يوم وثـاني يـوم وثالـث يـوم، بعـد مفارقـة الجزيـرة، وأنـا نائـم ولم آكل في هذه المـدّة شـيئاً، وإذا عطشـت شربـت مـن ذلـك النهـر، وصرت مثـل الفـرخ الدايـخ مـن شـدّة التعـب والجـوع، حتـى انتهـى بي الفلـك إلى جبـل عـالٍ، والنهـر داخـل مـن تحتـه. فلـمّا رأيـت ذلـك خفـت عـلى نفـسي مـن الضيـق الـذي كنـت أنـا فيـه، أوّل مـرّة، في النهـر السـابق، وأردت أن أوقـف الفُلـك وأطلـع منـه إلى جانـب الجبل، فغلبني المـاء، فجذب الفلك وأنـا فيه ونزل بـه تحـت الجبـل. فلـما رأيت ذلـك أيقنـت بالهلاك، وقلـت: لا حـول ولا قوّة إلّا باللـه العـليّ العظيـم. ولم يـزل الفُلـك سـائراً مسـافة يسيرة، ثـم طلـع إلى مـكان واسـع وإذا هـو واد كبـير، والمـاء يهـدر فيـه، ولـه دويٌّ مثل دويّ الرعـد، وجريـانٌ مثـل جريـان الريح، فـصرت قابضاً على ذلـك الفُلك بيدي، وأنـا خائـف أن أقـع فوقـه، والأمـواج تلعب بي يميناً وشـمالاً في وسـط ذلك المـكان. ولم يـزل الفلـك منحـدراً مـع المـاء الجـاري في ذلك الـوادي، وأنا لا أقـدر عـلى منعـه، ولا أسـتطيع الدخـول به في جهة الـبرّ، إلى أن رسى بي عـلى جانـب مدينـة عظيمـة المنظر مليحـة البنـاء، فيهـا خلـق كثـير. فلـمّا رأوني وأنـا في ذلـك الفُلـك منحـدراً في وسـط النهـر مـع التيّار رمـوا عـليَّ الشـبكة والحبـال في ذلـك الفلـك، ثـم أطلعـوا الفُلـك مـن ذلـك النهـر إلى الـبرّ، فسـقطت بينهـم وأنـا مثل الميِّـت من شـدّة الجوع والسـهر والخوف، فتلقّـاني مـن بـين هـؤلاء الجماعة رجـلٌ كبير في السـنّ، وهو شـيخ عظيم،

ورحَـبَّ بي ورمـى لي ثياباً كثـيرة جميلـة فسـترت بهـا عورتي، ثـم إنه أخذني وسـار بي وأدخلنـي الحـمّام، ثم جـاء لي بالأشربة والروائـح الزكية، ثم بعد خروجنـا مـن الحـمّام أخـذني إلى بيتـه وأدخلنـي فيـه، ففـرح بي أهـل بيته، وأجلسـني في مـكان ظريـف، وهيَّـأ لي شـيئاً مـن الطعـام الفاخـر، فأكلـت حتـى شـبعت، وحمـدت. بعـد ذلـك، قـدَّم لي غلمانه ماءً سـاخناً فغسـلت يـدي، وجـاءني جواريـه بمناشـف مـن الحريـر فنشَّـفت يـدي ومسـحت فمـي، ثـم إن ذلـك الشـيخ قـام مـن وقتـه، وأخـلى لي مكانـاً منفـرداً وحـده في جانـب داره، وألـزم غلمانـه وجواريـه بخدمتـي وقضـاء حاجتـي وجميع مصالحـي، فصـاروا يتعهَّدوننـي. ولم أزل عـلى هـذه الحالـة عنـده في دار الضيافـة، ثلاثـة أيّـام، وأنـا عـلى أكل طيِّـب وشرب طيِّـب ورائحـة طيِّبة حتى رُدَّت إليَّ روحـي، وسـكن روعـي، وهـدأ قلبـي، وارتاحـت نفـسي. فلـمّا كان اليـوم الرابـع، تقـدَّم إليَّ الشـيخ وقـال لي: آنسـتنا، يـا ولـدي. والحمـد للـه عـلى سـلامتك، فهـل لـك أن تقـوم معـي إلى سـاحل البحـر، وتنزل السـوق فتبيـع البضاعـة وتقبـض ثمنها؛ لعلَّك تشـتري بها شـيئاً تتَّجر فيه؟ فسـكتّ قليـلاً، وقلـت في نفـسي: ليـس معـي بضاعـة، وما سـبب هـذا الـكلام؟ قال الشـيخ: يـا ولـدي، لا تهتـمّ ولا تفكِّـر، فقـم بنـا إلى السـوق، فـإن رأينـا مـن يعطيـك في بضاعتـك ثمنـاً يرضيـك أقبضـه لـك، وإن لم يجـئ فيهـا شيء يرضيـك أحفظهـا لك عنـدي في حواصلي، حتـى تجيء أيّام البيـع والشراء. فتفكَّـرت في أمـري، وقلـت لعقـلي: طاوِعْـه، حتى تنظـر أيَّ شيء تكون هذه البضاعـة، ثـم قلـت لـه: سـمعاً وطاعـة، يـا عمّـي الشـيخ. والـذي تفعلـه فيـه البركـة، ولا يمكننـي مخالفتـك في شيء، ثـم جئـت معـه إلى السـوق فوجدتـه قـد فـكّ الفُلـك الـذي جئت فيـه، وهو من خشـب الصنـدل وأطلق المنادي.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلـة (554)، قالـت: بلغنـي- أيُّهـا الملـك السـعيد- أن السـندباد البحـري لمّـا ذهـب مـع الشـيخ إلى شـاطئ البحـر، ورأى الفلـك الـذي جـاء فيـه من خشـب الصنـدل مفكـوكاً، ورأى الـدلّال يدلِّـل عليـه التجّار،

وفتحوا باب سعره وتزايدوا فيه إلى أن بلغ ثمنه ألف دينار، وبعد ذلك توقَّف التجّار عن الزيادة، فالتفت إلى الشيخ وقال: اسمع، يا ولدي، هذا سعر بضاعتك في مثل هذه الأيّام، فهل تبيعها بهذا السعر أم تصبر وأنا أحفظها لك عندي في حواصلي حتى يجيء أوان زيادتها في الثمن، فنبيعها لك؟ فقلت له: يا سيِّدي، الأمر أمرك، فافعل ما تريد. فقال: ياولدي، أتبيعني هذا الخشب بزيادة مئة دينار ذهباً فوق ما أعطى فيه التجّار؟ فقلت له: نعم، بعتك. ثم قبضت الثمن. فعند ذلك، أمر غلمانه بنقل الخشب إلى حواصله، ثم إني رجعت معه إلى بيته، فجلسنا وعَدَّ لي جميع ثمن ذلك الخشب، وأحضر لي أكياساً ووضع المال فيها وقفل عليها بقفل حديد، وأعطاني مفتاحه. وبعد مدّة أيّام وليالٍ، قال الشيخ: يا ولدي، إني أعرض عليك شيئاً، وأشتهي أن تطاوعني فيه، فقلت له: وما ذاك الأمر؟ فقال لي: اعلم أني بقيت رجلاً كبير السنّ، وليس لي ولد ذكر، وعندي بنت صغيرة السنّ ظريفة الشكل، لها مال كثير وجمال، فأريد أن أزوِّجها لك وتقعد معها في بلادنا، ثم إني أملِّكك جميع ما هو عندي، وما تملكه يدي، فإني أصبحت رجلاً كبيراً، وأنت تقوم مقامي. فسكتُّ، ولم أتكلَّم. فقال لي: أطعني، يا ولدي، في الذي أقوله لك، فإن مرادي لك الخير، فإن أطعتني زوَّجتك ابنتي، وصرت مثل ولدي، وجميع ما في يدي وما هو ملكي يصير لك، وإن أردت التجّارة والسفر إلى بلادك فلن يمنعك أحد، وهذا لك تحت يدك، فافعل به ما تريد وما تختاره. فقلت له: والله، يا عمّي الشيخ، أنت صرت مثل والدي، وأنا قاسيت أهوالاً كثيرة، ولم يبق لي رأي ولا معرفة، فالأمر أمرك في جميع ما تريد. فعند ذلك، أمر الشيخ غلمانه بإحضار القاضي والشهود، فأحضروهم وزوَّجني ابنته، وعمل لنا وليمة عظيمة وفرحاً كبيراً، وأدخلني عليها، فرأيتها في غاية الحسن والجمال بقدرٍ واعتدال، وعليها شيء كثير من أنواع الحلي والحلل والمعادن والمصاغ والعقود والجواهر الثمينة التي قيمتها ألوف الألوف من الذهب، ولا يقدر أحد على ثمنها. فلمّا دخلت عليها أعجبتني، ووقعت المحبّة بيننا، وأقمت معها مدّة من الزمان وأنا

في غايـة الأنـس والانـشراح، وقـد تـوفيِّ والدهـا إلى رحمـة اللـه (تعـالى) فجهزنـاه ودفَنّـاه. ثـم وضعـت يـدي عـلى مـا كان معـه، وصـار جميـع غلمانـه غلـماني وتحت يدي، وفي خدمتـي، وولّاني التجّار مرتبته لأنه كان كبيرهـم، ولا يأخـذ أحـد شـيئاً إلّا بمعرفتـه وإذنـه؛ لأنـه شـيخهم، وصرت أنـا في مكانـه. فلـمّا خالطـت أهـل تلـك المدينـة وجدتهـم تنقلـب حالتهم في كلّ شـهر، فتظهـر لهـم أجنحـة يطـيرون بهـا إلى عنـان السـماء، ولا يبقـى متخلِّفـاً في ذلـك المدينـة غير الأطفال والنسـاء! فقلـت في نفسي: إذا جـاء رأس الشـهر أسـأل أحداً منهم، فلعلّهـم يحملوني معهم إلى أين يروحـون، فلـمَّا جاء رأس ذلك الشـهر تغيَّرت ألوانهـم، وانقلبت صورهم، فدخلـت عـلى واحـد منهـم وقلـت لـه: باللـه عليـك، احملنـي معـك حتـى أتفـرَّج، وأعـود معكـم، فقـال لي: هـذا شيء لا يمكـن. فلـم أزل أتدخَّـل عليـه، حتـى أنعـم عـليَّ بذلـك، وقـد رافقتهـم وتعلَّقـت بـه، فطـار بي في الهـواء، ولم أُعلِـم أحـداً مـن أهـل بيتـي ولا مـن غلـماني ولا مـن أصحابي. ولم يـزل طائـراً بي ذلـك الرجـل، وأنـا عـلى أكتافـه حتـى عـلا بي في الجوّ، فسـمعت تسـبيح الأمـلاك في قبّـة الأفـلاك، فتعجَّبـت مـن ذلـك وقلـت: سـبحان اللـه، والحمدللـه! فلـم أسـتتمّ التسـبيح حتـى خرجـت نـار مـن السـماء كادت تحرقهـم، فنزلـوا جميعـاً، وألقـوني عـلى جبـل عـالٍ، وقـد صـاروا في غايـة الغيـظ منـي، وراحـوا وخلّـوني، فـصرت وحـدي في ذلـك الجبـل، فلمـت نفسي عـلى مـا فعلـت، وقلـت: لا حـول ولا قـوّة إلّا باللـه العـليّ العظيـم. مـا إن أنجحُ من مصيبـة حتى أقع في مصيبـة أقوى منها. ولم أزل في ذلـك، ولا أعلـم أيـن أذهـب، وإذا بغلامـين سـائرين كأنهـما قمـران، وفي يـد كلّ واحد منهما قضيب مـن ذهب، يتعكَّز عليه، فتقدَّمت إليهـما وسـلَّمت عليهـما، فـردّا عـليَّ السـلام، فقلـت لهـما: باللـه عليكما، مـن أنتـما؟ ومـا شـأنكما؟ فقـالا لي: نحن مـن عباد اللـه (تعالى) ثـم إنهما أعطيـاني قضيبـاً مـن الذهـب الأحمر الـذي كان معهـما، وانصرفا في حال سـبيلهما وخلَّيـاني. فـصرت أسـير عـلى رأس الجبـل، وأنـا أتعكـز بالعكّاز، وأتفكَّـر في أمـر هذيـن الغلامـين، وإذا بحَيّـة قـد خرجـت مـن تحـت ذلـك الجبـل، وفي فمهـا رجـل بلعتـه إلى تحـت صرتـه وهـو يصيـح ويقـول: من

يخلِّصني يخلِّصه الله من كلّ شدة، فتقدَّمت إلى تلك الحيّة وضربتها بالقضيب الذهبي على رأسها، فرمت الرجُل من فمها.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة (555)، قالت: بلغني- أيُّها الملك السعيد- أن السندباد البحري لمّا ضرب الحيّة بالقضيب الذهب الذي كان بيده، وألقت الرجل من فمها، قال: فتقدَّم إليَّ الرجل، وقال: حيث كان خلاصي على يديك من هذه الحيّة، فما بقيت أفارقك، وأنت صرت رفيقي في هذا الجبل، فقلت له: مرحباً. وسرنا في ذلك الجبل، وإذا بقوم أقبلوا علينا، فنظرت إليهم فإذا فيهم الرجل الذي كان حملني على أكتافه وطار بي، فتقدَّمت إليه واعتذرت له، وتلطَّفت به، وقلت له: يا صاحبي، ما هكذا تفعل الأصحاب بأصحابهم! فقال لي الرجل: أنت الذي أهلكتنا بتسبيحك على ظهري. فقلت له: لا تؤاخذني، فإني لم أكن أعلم بهذا الأمر، لكنني لا أتكلَّم، بعد ذلك، أبداً، فسمح بأخذي معه، لكنه اشترط عليَّ ألّا أذكر الله، ولا أسبِّحه على ظهره. ثم إنه حملني، وطار بي مثل الأوّل حتى أوصلني إلى منزلي، فتلقَّتني زوجتي، وسلَّمت عليَّ، وهنَّأتني بالسلامة، وقالت لي: احترس من خروجك، بعد ذلك، مع هؤلاء الأقوام، ولا تعاشرهم؛ فإنهم إخوان الشياطين، ولا يعلمون ذكر الله (تعالى). فقلت لها: كيف حال أبيك معهم؟ فقالت لي إن أبي ليس منهم، ولا يعمل مثلهم، والرأي عندي- حيث مات أبي- أنك تبيع جميع ما عندنا، وتأخذ بثمنه بضائع، ثم تسافر إلى بلادك وأهلك، وأنا أسير معك، فليس لي حاجة بالقعود هنا في هذه المدينة، بعد أمّي وأبي. فعند ذلك صرت أبيع من متاع ذلك الشيخ شيئاً بعد شيء، وأنا أترقَّب أحداً يسافر من تلك المدينة، فأسير معه. فبينما أنا كذلك، وإذا بجماعة في المدينة أرادوا السفر، ولم يجدوا لهم مركباً، فاشتروا خشباً وصنعوا لهم مركباً كبيراً، فاكتريت معهم، ودفعت إليهم الأجرة بتمامها. ثم أنزلت زوجتي وجميع ما كان معنا في المركب، وتركنا الأملاك والعقارات، فسرنا ولم نزل سائرين في البحر من جزيرة إلى جزيرة، ومن بحر إلى بحر،

وقد طاب لنا ريح السفر، حتى وصلنا- بالسلامة- إلى مدينة البصرة، فلم أقم بها، بل اكتريت مركباً آخر، ونقلت إليه جميع ما كان معي، وتوجَّهت إلى مدينة بغداد، ثم دخلت حارتي، وجئت داري وقابلت أهلي وأصحابي وأحبابي وخزَّنت جميع ما كان معي من البضائع في حواصلي، وقد حسب أهلي مدَّة غيابي عنهم في السفرة السابعة، فوجدوها سبعاً وعشرين سنة حتى قطعوا الرجاء مني. فلمّا جئت وأخبرتهم بجميع ما كان من أمري، وما جرى لي صاروا كلَّهم يتعجَّبون من ذلك الأمر عجباً كبيراً، وقد هنّأوني بالسلامة، ثم إني تبت إلى الله (تعالى) عن السفر في البرّ وفي البحر، بعد هذه السفرة السابعة التي هي غاية السفرات وقاطعة الشهوات، وشكرت الله (سبحانه وتعالى)، وحمدْتُه، وأثنيت عليه، لأنه أعادني إلى أهلي وبلادي وأوطاني. فانظر، يا سندباد، يا برّي، ما جرى لي، وما وقع لي، وما كان من أمري! فقال السندباد البرّي للسندباد البحري: بالله عليك، لاتؤاخذني بما كان منّي في حقِّك. ولم يزالوا في مودّة مع بسط زائد وفرح وانشراح، إلى أن أتاهم هادم اللذّات ومفرِّق الجماعات ومخرِّب القصور ومعمِّر القبور؛ وهو كأس الموت، فسبحان الحيّ الذي لا يموت.

الفهرس

تقديم 5

حكايات السندباد 27

الحكاية الأولى: (أوَّل السفرات) 33

الحكاية الثانية: (السفرة الثانية) 43

الحكاية الثالثة: (السفرة الثالثة) 51

الحكاية الرابعة: (السفرة الرابعة) 63

الحكاية الخامسة: (السفرة الخامسة) 75

الحكاية السادسة: (السفرة السادسة) 85

الحكاية السابعة: (السفرة السابعة) 93

صدر في سلسلة
كتاب الدوحة

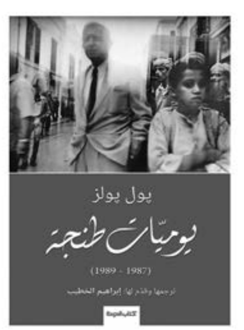
	2011	
1	طبائع الاستبداد	عبد الرحمن الكواكبي
2	برقوق نيسان	غسان كنفاني
3	الأئمة الأربعة	سليمان فياض
4	الفصول الأربعة	عمر فاخوري
5	الإسلام وأصول الحكم - بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام	علي عبدالرازق
6	شروط النهضة	مالك بن نبيّ
7	صلاح جاهين - أمير شعراء العامية	محمد بغدادي
	2012	
8	نداء الحياة - مختارات شعرية - الخيال الشعري عند العرب	أبو القاسم الشابي
9	حرّية الفكر وأبطالها في التاريخ	سلامة موسى
10	الغربال	ميخائيل نعيمة
11	الإسلام بين العلم والمدنيّة	الشيخ محمد عبده
12	أصوات الشاعر المترجم - مختارات من قصائده وترجماته	بدر شاكر السياب
13	امرأتنا في الشريعة والمجتمع	الطاهر حداد
14	الشيخان	طه حسين
15	ورد أكثر - مختارات شعرية ونثرية	محمود درويش
16	يوميات نائب في الأرياف	توفيق الحكيم
17	عبقرية عمر	عباس محمود العقاد
18	عبقرية الصدّيق	عباس محمود العقاد
19	رحلتان إلى اليابان	علي أحمد الجرجاوي/صبري حافظ
	2013	
20	لطائف السمر في سكان الزُّهرة والقمر أو (الغاية في البداءة والنهاية)	ميخائيل الصقال
21	ثورة الأدب	د. محمد حسين هيكل
22	في مديح الحدود	ريجيس دوبريه
23	الكتابات السياسيّة	الإمام محمد عبده
24	نحو فكر مغاير	عبد الكبير الخطيبي
25	تاريخ علم الأدب	روحي الخالدي
26	عبقرية خالد	عباس محمود العقاد
27	أصوات الضمير	خمسون قصيدة من الشعر العالمي
28	مرايا يحيى حقي	يحيى حقي

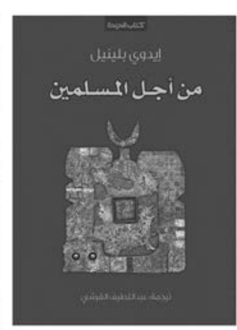
29	عبقرية محمد	عباس محمود العقاد
30	عبدالله العروي من التاريخ إلى الحب	حوار أجراه محمد الداهي
31	فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللّغة العربيّة	مجموعة مؤلفين
	2014	
32	عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حداد)	ترجمة: شرف الدين شكري
33	سِراج الرُّعاة (حوارات مع كُتاب عالميّين)	خالد النجار
34	مقالة في العبودية المختارة (إيتيان دي لابويسيه)	ترجمة: مصطفى صفوان
35	عن سيرتَي ابن بطوطة وابن خلدون	د.بنسالم حِمّيش
36	حي بن يقظان - تحقيق: أحمد أمين	ابن طفيل
37	الإصبع الصغيرة - ترجمة: د.عبدالرحمن بوعلي	ميشيل سار
38	محمد إقبال - مختارات شعرية	محمد إقبال
39	تزفيتان تودوروف (تأمُّلات في الحضارة، والديموقراطية، والغيرية)	ترجمة: محمد الجرطي
40	نماذج بشرية	أحمد رضا حوحو
41	الشرق الفنّان	د.زكي نجيب محمود
42	تشيخوف - رسائل إلي العائلة	ترجمة: ياسر شعبان
43	إلياس أبو شبكة «العصفور الصغير»	مختارات شعرية
	2015	
44	لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟	الأمير شكيب أرسلان
45	مختارات من الأدب السوداني	علي المك
46	رحلة إلى أوروبا	جُرجي زيدان
47	المُعتمدُ بنُ عبَّاد في سنواته الأخيرة بالأسر	د.عبدالدين حمروش
48	تاريخ الفنون وأشهر الصور	سلامة موسى
49	من أجل المسلمين	إيدوي بلينيل - ترجمة: عبداللطيف القرشي
50	زِينة المعنى (الكتابة، الخط، الزخرفة)	يوسف ذَنّون
51	الواسطة في معرفة أحوال مالطة	أحمد فارس الشدياق
52	النخبة الفكرية والانشقاق	د. مُحسن الموسوي
53	ياسمينة وقصص أخرى	إيزابيل إيبرهاردت
54	آباي (كتاب الأقوال)	ترجمة وتقديم: بوداود عمير
55	مأساة واق الواق	ترجمة: عبدالسلام الغرياني
	2016	
56	بين الجزْر والمدّ (صفحات في اللّغة والآداب والفنّ والحضارة)	محمد محمود الزبيري
57	ظلّ الذّاكرة (حوارات ونصوص من أرشيف «الدوحة»)	مي زيادة
58	الرحلة الفنّية إلى الديار المصريّة (1932) تحقيق: رشيد العفاقي	قسم التحرير «مجلّة الدوحة»
59	قيصر وكليوبترا	أليكسي شوتان -تعريب: عبد الكريم أبو علو
60	الصين وفنون الإسلام	إسماعيل مظهر
61	براعمُ الأمل (مُختارات شِعْريّة للكاتب الصيني وانغ جو جن)	ترجمة: مي عاشور
62	التّوت المُرّ	محمد العروسي المطوي
63	درب الغريب	غونار إيكليوف
64	من والد إلى ولده	أحمد حافظ بك
65	التلـميذ	بول بُورجيه
66	ملحَمة جلجامِش	تقديم وترجمة: طه باقر
67	أريجُ الزّهر	الشيخ مصطفى الغلاييني

	2017	
68	اعترافات إنسان	محمّد فريد سيالة
69	مريود	الطيب صالح
70	المقالات الصحفية	عبدالله كنون
71	قصص قصيرة	نجيب محفوظ
72	بول بولز - يوميات طنجة	إبراهيم الخطيب
73	فنّ الحَياة	سلامة موسى
74	أَقْوَمُ الْمَسَالِكِ فِي مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الْمَمَالِكِ	خير الدين التونسي
75	كتاب الأخلَاق	أحمد أمين
76	رِحْلَةٌ جَبَلِيَّةٌ رِحْلَةٌ صَعْبَة	فدوى طوقان
77	قِطافْ (مُختَارَات مِن اَلْقِصَّةُ الْقَصِيرَةُ فِي قَطَر)	مجموعة من الكتاب
78	الرحلة الجوية في المركبة الهوائية (من شَرقي إفريقية إلى غربيها) ج: 1	جول غابرييل فيرن، ترجمة: يوسف اليان سركيس
79	الرحلة الجوية في المركبة الهوائية. ج: 2	جول غابرييل فيرن، ترجمة: يوسف اليان سركيس
	2018	
80	مذكرات دجاجة	إسحق موسى الحسيني
81	ماذا يقول غاندي عن اللاعنف والمقاومة والشجاعة؟	نورمان ج. فينكلستاين- ترجمة: أحمد زراقي
82	نشأة اللوحة المسندية في الوطن العربي	د. نزار شقرون
83	مِن سِيَر الأَبْطَال والعُظَمَاءِ القُدَماء	إس. إس. بيو - ترجمة: يعقوب صروف - فارس نمر
84	مقالاتٌ في الأدب العربيّ	إغناطيوس كراتشكوفسكي
85	سِرُّ النَّجَاحِ	صموئيل سمايلز - ترجمة: يَعقُوب صَرُّوف
86	مِنْ آثَارِ مُعَاوِيَة مُحَمَّد نُور	مُعَاوِيَة مُحَمَّد نُور
87	إنشَاءُ المُكَاتَبَاتِ العَصْرِيَّة	أحمد الهاشمي
88	أجراس أكتوبر - مُخْتَاراتٌ مِنَ الشِّعْرِ السُّوفْييتِّي	ترجمة: عبدالرحمن الخميسي وآخرين
89	حكايات من لافونتين	اختارها وترجمها: جبرا إبراهيم جبرا
90	مع بورخيس	ألبيرطو مانْغيل - ترجمة: إبراهيم الخطيب
91	الرواية الجديدة والواقع	لوسيان جولدمان، ناتالي ساروت، آلان روب غرييه، جينفياف مويلو. ترجمة: رشيد بنحدو
	2019	
92	غزلان الليل (حكاياتٌ شعبيَّة أمازيغيَّة)	إميل لاوست - ترجمة: إدريس الملياني
93	الذُّبَابَةُ	المؤلف: جورج لانغلان - ترجمة: خليفة هزّاع
94	ترجمة النفس (السيرة الذاتية عند العرب)	عبد اللطيف الوراري
95	صندوق العجائب	أحمد الصفريوي - ترجمة: رشيد مرون
96	النقد الأدبي	كارلوني وفيلو - ترجمة: كيتي سالم
97	خوان مانويل روكا.. صَانِعُ المَرَايَا (مختارات شعريّة)	ترجمة: خالد الريسوني
98	بحوث في الرّوَاية الجَديدة	ميشيل بوتور-ترجمة: فريد أنطونيوس
99	الأدب والتحليل النفسيّ	حسن المودن

من إصدارات سلسلة كتاب الدوحة





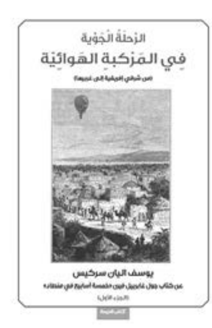


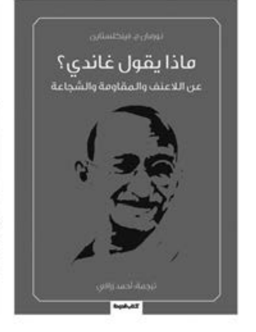


















صرَّحَ السندبادُ البَحريّ بأنّ الشروعَ في السّفر انطلقَ أساساً، في البَدء، بَعْد إضاعَةِ إرْث الأب وبَيْع ما تبقّى منه، أو بتعبيره، بَعْدَ بَيْعِ جميع ما تَملكُ يَدُه. انطلاقُ السّفر، بهذا المعنى، تمَّ، إذاً، بدافعِ الانفصالِ عن الأب وشَقِّ بدايةٍ جديدة، أي بدافعِ البَحْث عن الذات واختبار أَقْصَى مُمْكِنها. لقد كانَ الانفصالُ، في تجربةِ السندباد البَحريّ، حَيويّاً في بناءِ هُويّته.. انفصالٌ يتكشَّفُ مِنْ قراءةِ تماسِّ الحياة بالمَوت، ومِنْ تَماسّ الفَقْد بالامتلاك فيها، وتماسِّ التيه بالاستهداء في الدّرب الذي تشُقُّهُ هذه الشخصيّةُ لحَياتها، على نَحْوٍ جعلَ تجربةَ السندباد حَدِّيَّةً؛ تُقيمُ في الحَدِّ الفاصل بَين طرَفَيْن مُتقابلَيْن، وتَبْني مِن داخل هذا الحَدّ، الوَاصِلِ لا الفاصِل، مَعْنى خَصيباً للذات وللحَياة..

في هذه التجربة، ثمَّةَ مَشهدٌ يَكادُ يكونُ ثابتاً، يتعلّقُ الأمرُ بالسندباد وَحيداً بلا رفيق، مُجرَّداً من كلِّ شيء، وبدُون متاع. مِن داخل هذا المشهدِ الذي يُقوِّي دلالةَ الانفصال، تَبْدَأُ، في الغالب، مُغامَرةُ اختبار أَقْصَى مُمْكِن الذات، على شفا المَوت. بُلوغُ الأقاصي، الذي تُرْسيهِ تجربةُ السندباد، يُفيدُ دَوماً أنّ الطريقَ إلى البَعيد القَصيِّ تيهٌ وفقدٌ، ويُفيدُ أنّ هذه الطريقَ إقامةٌ لا على حُدُودِ المَوت وحسب، بل اختبارٌ لأقسَى صِيَغه وأقْصاها. ذلك أنّ حكايةَ السّفرات السّبْع تضمَّنَت تدرُّجاً في فَظاعةِ المَوت، كما لوْ أنّها كانَت تَرُومُ الإقناعَ باختبار الشخصيّةِ لكُلِّ أشكاله.

خالد بلقاسم



كتاب الدوحة